بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1062 - الجمعة 11 صفر 1425 هـ - الموافق 2 أبريل 2004

علم التفضيل

الطاعة

لايمكن لمجتمع كيفما كان حجمه كثرة أو قلة أن يحقق مايصبو إليه من تقدم إلا بالعمل المنظم الهادف المستند على قانون أسمى يتحكم في سلوكه في الحياة. فيرسم للفرد والجماعة ما لهما وما عليهما فلكل مجتمع قانونه الأسمى ودستوره الأعلى الذي يخضع لامتثال نصه ويطبق القانون المستد عليه جملة وتفصيلا رعيا لمصلحة الأمة وحرصا على أن يكون العدل والمشروعية ملموسين في جزئيات روابط المجتمع. وفي هذا التوجه الملحوظ نرى أمما وشعوبا قطعت أشواطا بعيدة في ميادين شتى من مظاهر الحياة المتنوعة ماديا واقتصاديا واجتماعيا أكسبت تلك الشعوب تقدما ملموسا وحضورا فاعلا. ومن المعلوم أن جوهر هذا التقدم يكمن في تربية المجتمع على تقديس القانون واحترامه وامتثال ماجاء به. فلكل أمة قانونها الذي يصلح لها وينسجم مع حياتها ويراعي طقوسها ومعتقدها وميلها الطبيعي الذي هي على معرفة كاملة به واطلاع تام على ما يناسب حياتها الشخصية وتوجهاتها العقدية التي يجب على فصائل المجتمع احترامها.

فالإسلام معروف بمراعاته الإنسانية لتربية المجتمع تربية عدل وإنصاف وانضباط ومساواة أمام العدل. وقد حدد للكل ماله وما عليه وأوجب فيما أوجب من رعاية المصلحة العامة والاعتناء بجميع شرائح المجتمع أوجب الطاعة لولي الأمر والانقياد له واحترامه الاحترام المطلق وامتثال مايدعو له قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر...

فإذا نحن التزمنا الطاعة لولي الأمر واحترمنا القانون شكلا وجوهرا نكون سلكنا الطريق السوي. فمراقبتك لنفسك أيها الإنسان وتمرينك لها على التكيف المطلق مع روح القانون وبشفافية مطلقة تكون وفرت لنفسك الاحترام المطلق وقمت بواجبك على الوجه الأكمل وذلك مايوجهنا إليه ديننا ويدعونا إليه دستورنا الأسمى... ولنعلم أن الحرية والديمقراطية الكاملتين يدافع عنهما الإسلام وينشرهما في حدودهما المقبولة شرعا وقانونا.

فبما أنك أيها الإنسان المحترم لك حرمتك وكرامتك ويحميها الشرع فكذلك أخوك الإنسان له ما لك، وعليه ما عليك فليحترم كل منا أخاه وليراعي واجبه ولايتعداه... نعم للرأي حريته وللصحافة حريتها هي كذلك لكن في إطار سليم محدد قانونا وشرعا وعادة وطبيعة.

فلنتق الله في أنفسنا وفي مسؤلينا وفي أعراضنا جميعا وفي جميع فصيلتنا البشرية ولنتحرى الصدق فيما نكتب كي نجلب لأقلامنا المصداقية.

قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سورة التوبة/الآية:119: فالمنهاج الإسلامي السليم يحرم الكذب ويجعله من كبائر الذنوب لما يترتب عنه من مضار وخيمة في الدنيا ويعاقب عليها في الآخرة. في كتب الأثر حديث البدوي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له:(في ثلاث خصال لا أقدر عليها: (الأولى النساء والثانية الخمر والثالثة الكذب وقد جئتك في خصلة من الخصال الثلاث أتوب منها) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كن صادقا وما عليك) فلما ألحت عليه خصلة شرب الخمر قال: وإن سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم أشربت الخمر فماذا أقول له؟:لابد أن أقول له الصدق فامتنع عن شرب الخمر وعندما نظر إلى امرأة واشتهاها قال: إن سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا فعلت مع النساء ماذا أقول له؟ لابد أن أقول له الصدق. فامتنع عن النساء وهكذا منعه الصدق من المعاصي. وروى أحمد في مسنده عن صفوان بن سليم قال: قيل يارسول الله أيكون المؤمن جبانا؟فقال: نعم. فقيل له أيكون المؤمن بخيلا؟ فقال: نعم. فقيل أيكون المؤمن كذابا؟ فقال: لا. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) سورة الصف الآية 3،2 فالكذب من أكبر المصائب والآفات التي أصابت المجتمعات وأضرت بها وشغلتها في أنفسها وجرت عليها مصائب وويلات كثيرة خربت اقتصاد الأمم وأزهقت أرواحها ونشرت الظلم والعدوان وانتهاك الحرمات ودككت معاقل قوتها وأزالت أنظمتها وشردتها مصائب الكذب التي يعاني منها المجتمع الآن بصفة عامة ومن آثارهما ومخلفاتهما الخطيرة على الشعوب وأمنها واستقرارها واتحادها وتضافر صفوفها. فها هو الكذب المبيت الخادع الماكر يعبث بالأمم وقاداتها مستهدفا كرامتها وقيمها ومعتقداتها وثوابتها وأصالتها وجميع مكوناتها التاريخية المثالية التي تعتز بها الإنسانية. فلنحذر كل الحذر من المزيد من تمييع شرائحنا البشرية. ولنتوخى العدل ونشيعه بيننا والإنصاف في أنفسنا وفيما أوجب الله علينا من الطاعة والامتثال لولي الأمر ومن الصفاء والاستقامة فيما بيننا فنكون أمناء في أنفسنا و مع الغير. ونتوخى العدل وتطبيقه حتى نستمتع بحلاوته وتستريح بذلك ضمائرنا ونجعل على عاتقنا تادية الأمانة التي حملنا الله إياها لما في ذلك من راحة بال قال تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها).

ومن المعلوم أن تاريخنا الإسلامي الصادق مليء بما رسم فيه أسلافنا من العدل والمساواة وإحقاق الحق بدون تمييز ولاتعصب ولاميل.

تروي كتب الحديث والتفسير قصة طعمة بن أبيريق الذي سرق درعا من زيد بن رفاعة عم قتادة بن النعمان وكلاهما مسلم فلما سرق الدرع وجده الصحابة بعد بحث دقيق قادهم إلى بيت طعمة بن أبيريق فقال لقومه من الصحابة أنا لم أسرق فرجعوا فتابعوا البحث ووجدوا الدرع عند زيد بن سمين اليهودي. ولما رفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أعوان قبيلة طعمة بن أبيريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له لو برأنا ساحة زيد بن السمين اليهودي فإنه ستتم مؤاخذة بن أبيريق الصحبي وهذه سبة لنا وللمسلمين وسمع رسول الله كلامهم وسكت صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه الوحي من ربه في هذه القضية وإذا بالأمين جبريل ينزل عليه بقوله تعالى: (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما).

فالحق سبحانه أخبر نبيه أن الحق مع اليهودي والإسلام أتى لإحقاق الحق ورفع الظلم.

فعلى من يقضي بين الناس أن يسوي بين الخصمين بقطع النظر عن معتقدهما فالواجب هو رفع الظلم عن المظلوم.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه رواه الدرقطني والطبراني في الكبير. والإسلام يأمر بما فيه صلاح المجتمع من واجب طاعة ولي الأمر ونشر العدل بين الأفراد والجماعات ويأمر بالمشاورة قال عليه الصلاة والسلام (مشاورة العاقل الناصح يمن ورشد وتوفيق من الله عز وجل) قال علي كرم الله وجهه (نعم المؤازرة المشاورة).

فلنلتزم بالطاعة. ولنعلم أن يد الله مع الجماعة. ولنحذر مما يحاك ضدنا ولنتمسك بكتابنا وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

مبدأ التكافل في الإسلام

مالكية الأندلس والاستقلالية في الآراء

حاجة المجتمع المسلم إلى ثقافة الحوار

الوجود الإسلامي في أوروبا

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-3-

نتابع موضوع العدل والعدالة في التوجيه الديني في الدرس الذي يبلغ رقم عشرين في هذه الحلقات الخاصة في جريدة ميثاق الرابطة. وقد انطلقنا فيها من استعراض بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والاستعمالات اللغوية والاصطلاحية لكلمة العدل، ودخلنا للبيوت الإسلامية فرأينا العدالة المطلقة في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تناولنا مكانة العدل في الأسرة بين الزوجات وبين الأبناء والآباء ورأينا أمثلة ناطقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فتحنا ملف العدل الإسلامي مع الخادم والعامل والأجير، ورأينا صورا لما يجب من التصرف مع عدد من الجهات في إطار الحياة العامة للمجتمع الإسلامي وأخيرا فتحنا نافذة على عدل مخصوص هو العدل القضائي في الإسلام.

إن المجتمعات البشرية كيفما كان مستواها الثقافي والحضاري والمدني لابد لها من نظام يسوي الخلافات بين الأفراد، وأحيانا تكون الخلافات بين القبائل والشعوب والأمم، وتلجأ في النهاية إما إلى القدرة وإما إلى الحكمة والرزانة لحل المشاكل حتى لايسعى الناس في فوضى اجتماعية لاحدود لها.

وكانت أعراف القبائل والشعوب والثقافات المخصوصة تحسم الأمور في غالب الأحيان، ولكن في بعضها كانت الأنساب والأفخاذ والأموال هي التي تشق طريق حل النزاعات البشرية إلى أن جاء العهد النبوي ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فانطلقت أحكام العدل والإنصاف والمساواة ترفرف أعلامها فوق المجتمع الإسلامي وبدأ الوحي الإلاهي ينشر أنواره في فتح الطريق الحق للفصل في الخصومات الاجتماعية بين الناس.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام ـ رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الأستاذ العلامة السيد سعيد أعراب

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ الأستاذ سعيد أعراب عالم باحث تكون تكوينا متينا في اللغة والأدب والفقه، حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، تلقاه عن شيوخه المعتمدين بمنطقة غمارة وجبال الريف، ودخل ميدان المعرفة بذهن متقد، وفكر طموح، وقلب واع. وشوق حثيث للتزود بسائر العلوم الدينية واللغوية والتاريخية... مع إصرار لايعرف للتواني سبيلا. يقرأ ويبحث ويحسن السماع، ينطبق عليه الحديث الشريف "منهمان لايشبعان: طالب علم وطالب دنيا".

كان رحمه الله من العلماء الفضلاء المخلصين في أبحاثهم المقدرين لسمو رسالة العلم، ولمسؤولية الفكر.

ويبحث بعناية زائدة عن كل مايتعلق بالتراث المغربي. يقضي في ذلك ليله ونهاره، دون كلل، ولاملل، ويصرف كل وقته في محراب العلم، بعكوف دائب، وتعهد مستمر، لايهمه من هذه الحياة إلا أن يكون قد حصل على فائدة معرفية، أو اكتشف حقيقة علمية غميسة، أو معلومة مجهولة، يبذل في ذلك كل جهده وطاقته...

وإلى هذه المثالية في التفرغ لمسائل العلم وقضاياه، كان رحمه الله يفرح بزواره من الباحثين والعلماء وطلاب العلم... يأنس بهم، ويستمع إليهم، ويناقش معهم موضوعاتهم التي اختاروها لأبحاثهم، مناقشة العالم الخبير الحريص كل الحرص على الوصول إلى الحقيقة، وإلى فتح آفاق جديدة في البحث والاطلاع، وكان يطلب من رواده من الطلبة الباحثين أن يطلعوه على ما قطعوه من أشواط في أبحاثهم، وعلى التصاميم التي اختاروها لرسائلهم وأطروحاتهم، فيوجه، ويرشد وينبه للأحسن والأوفق، وفي نفس الوقت يحذر من المطبات التي يمكن أن يقع فيها الباحث كل ذلك في اهتمام بالغ، وإخلاص منقطع النظير، وكان رحمه الله يتعهد الباحثين المبتدئين، ويحبب إليهم المضي في أبحاثهم، يطلعهم على المصادر والمراجع، ويدلهم على أفيد الطرق وأجداها للوصول إلى تحقيق أهدافهم وإنجاز أبحاثهم.

لقد كان رحمه الله من الرواد الأوائل الذين يلجأ إليهم الطلبة والباحثون بشمال المغرب، فيجدون عنده سعة الصدر والود والأنس ومايشجعهم، وينمي رغبتهم، ويستجد عزائمهم، ويذلل لهم مااستصعبوه، فيكون إلى جانبهم بمثابة الأب الحنون والمربي الماهر الذي يغرس الثقة في النفوس، والاطمئنان في القلوب، وفي نفس الوقت يحذرهم من الغرور والتهاون والتقصير.

إن استاذنا رحمه الله كان يتمتع بأخلاق عالية ونبل مثالي، فاتحا قلبه وداره لمريديه وزواره بشوشا مشرق الوجه بهي الطلعة. يأنس به المتحدث إليه، والمستمع له، كل هؤلاء يجدون أنفسهم أمام عالم وباحث متمكن ورائد نصوح خبير...يذكر الجالس إليه بما ذكره العبدري وابن رشيد والتجيبي عن شيوخهم من كبار الأئمة الذين جلسوا إليهم بالمشرق أو بالمغرب، من حسن الاستقبال ودماثة الأخلاق.

إن أستاذنا سعيد أعراب رحمه الله انقطع للبحث العلمي انقطاعا كليا، جعل من مكتبته الوافرة معتكفه ومحرابه لايغادر كتبه إلا للصلاة مع الجماعة، أو للبحث عن مرجع أو مصدر لايتوفر عليه.

وبهذا الانقطاع والعكوف المثالي استطاع أن ينجز ما أنجزه من أبحاث، وأن يحقق ماحققه من أمهات كتب تراثنا العلمي النفيس، ويؤلف ماألفه من كتب قيمة، عكف على ذلك عكرف العابد المتبتل متمثلا قول ابن السبكي: "وحصر الشيخ الامام اللذة في المبارف" فكانت متعة أستاذنا في الحياة البحث والاطلاع والتزود بالمعرفة.

كان يتميز رحمه الله بالغيرة الجارفة على التراث المغربي ويخشى أن يندثر أو يتلاشى دون أن يطلع عليه الناس، فكان يجد في البحث عنه، ويوجه الطلاب والباحثين للبحث عنه، رأبحاثه رحمه الله في هذا المجال تقدر له، لما لها من قيمة علمية، وهي أبحاث تحتاج إلى دراسة علمية متأنية، نذكر منها على سبيل المثال: أبحاثه عن المساجد الأولى بشمال المغرب مثل: مسجد موسى بن نصير بمنتحف الطريق بين تطوان وشفشاون، ومسجد طارق بن زياد بالأخماس المليا، وآثار بني صالح بالنكور، وغيرها من الأبحاث القيمة.

ومن الموضوعات التي أولاها الأستاذ سعيد أعراب عناية فائقة، راهتماما بالغا موضوع القراءة والقراء بالمغرب في كتابه: المعنون: "بالقراء والقراءات بالمغرب" وهو كتاب نفيس جدا، به معلومات قيمة ومركزة، وموثقة، بذل فيه رحمه الله جهودا مشكورة. تحدث فيه عن دخول القرآن للمغرب، وعن المصاحف الأولى التي عرفتها البلاد المغربية، والكتاب القرآني، وطريقة تحفيظ القرآن الكريم وتلقينه والعناية بنشره في الحواضر والبوادي، والاهتمام بحفظه من طرف أهل هذه البلاد منذ الفترات الأولى لدخول الاسلام إلى الغرب الإسلامي، ويقول: "كان الغالب على أهل المغرب قراءة حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص، ثم اشتهرت قراءة نافع برواية ورش، وكان أول من أدخلها أبو عبد الله محمد بن خيرون الأندلسي، القيرواني (ت:306هـ)وينقل ماذكر عن مالك، من أن قراءة أهل المدينة سنة، وتعقيب ابن العربي المعافري: ليس معناه أن قراءة غيرهم ليست بسنة، بل كل القراءات المتواترة سنة" ويذكر أن موطأ مالك وقراءة نافع دخلا معا، مع غازي بن قيس: (ت:199هـ) وتحدث بعد ذلك عن دخول القراءات الأخرى إلى المغرب، وأن أبا موسى الهواري الأندلسي، على عهد عبد الرحمن الداخل كان أول من أدخل القراءات إلى المغرب بعد عودته من رحلته إلى المشرق التي لقي فيها الامام مالك، وعلماء آخرين.

والكتاب غني بالمعلومات المفيدة، يذكر كيف استقرت قراءة نافع برواية ورش بطريق أبي يعقوب الأزرق بالمغرب.

(تابع ص:5)

(تتمة ص:1)

نزلت الآية الكريمة رقم 105 من سورة النساء "إنما أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله" فخططت المنهج الأصل والمصدر الأول الذي يقرر الحكم بين الناس ويعطي الحق لمن هو له وهو الله عز وجل "بما أراك الله" واستمر هذا المنهج في الوحي الإلاهي "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق" كما في الآية 48 من سورة المائدة، ثم تلتها الآية:49 "وأن احكم بينهم بما أنزل الله، ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك"

وقد علم الله عز وجل أن بعض المتخاصمين من المسلمين يجدون في أنفسهم شيئا من حكم الرسول عليه الصلاة والسلام فأنزل الله عز وجل التوجيه الصريح الكامل المطلق ليهتدي به المومنون "فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" الآية:65 من سورة النساء، بهذه الآيات وغيرها تبين للمجتمع الإسلامي الأول أن هناك جهة تحسم الأمور وتفصل في القضايا والمنازعات وتخضع لمنهج قضائي بتوجيه الإلاهي يحقق كامل العدل والانصاف ويضمن الحقوق لأصحابها، وأن على المومنين والمسلمين الذي يلتجؤون إلى منبع السلطة القضائية أن يقبلوا بالحكم ويرضوا بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما قلبيا صادقا خالصا لايدخله شك أو ريب، فما قضى به الرسول عليه الصلاة والسلام هو عين الحق والعدل، ولاشيء آخر فوقه.

وقد رأينا في إحدى الحلقات الماضية موقف المرأة التي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترفع إليه دعوى بزوجها الذي أشعرها بأنه لن يقترب منها فيما بعد وأنها أصبحت بالنسبة إليه كأمه، ولا هي مطلقة تفتح حياة جديدة فنزلت الآية (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما"فصدر الحكم الإلاهي بجزاء "الظهار" بتحرير رقبة أو إطعام أو صيام، ونفذ الحكم على الزوج، وبقي ذلك الجزاء هو السبيل الوحيد للذين يتعون في مثل الحادثة.

وكان المسلمون ينفذون قول الله عز وجل "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام المؤمنين موقف القاضي من الخصوص "إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحوما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار"كما رواه الإمام مالك في موطأه، والبخاري ومسلم في صحيحيهما.

بهذه الكلمات وانجمل المشرقة بالمعاني الساطعة الانوار وضع الرسول صلى الله عليه وسلم رؤية العدل في الإسلام "فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض" الرسول عليه الصلاة والسلام بصفته نبيا يطلعه الله على الغيب عندما يشاء ويعلمه بالجهة أو الطرف الظالم والطرف المظلوم، ولكن الرسول يضع قواعد العدل والإنصاف على مرأى ومسمع من المؤمنين وغدا يغيب الرسول صلى الله عليه وسلم وتبقى القواعد والأصول التي على مقتضاها يتخاصم المومنون وعلى هديها ينصل الخلفاء والأمراء والعلماء والقضاة في المنازعات التي تحدث بين الناس وترفع إليهم ، فكان لابد من إيضاح المنهج الذي يجب أن يلتزم به المتخاصمون، فالحجة هي التي ترجح هذا الجانب على هذا، وبهذا يقضي الحاكم وقد لاتحقق العدل، وقد تكون الحجة بيد الظالم والقاضي لايطلع على الغيب ولكن النتيجة هي مانطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم "فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقضي له بقطعة من النار" اللهم نجنا من النار، وإلى الحلقة القادمة إن شاء الله.

نصيحة الصفا في قواعد الخلفا

للعلامة أحمد بن محمد بن يعقوب

الوثاق

فهذه نبذة تشتمل على ما ينبغي لمن وكل الله إليه أمر العباد استحضاره، ويحق له أن يكون نصب عينيه ليصل به إلى المرام بحول الله تعالى وقوته، ويتقوى به استبصاره، وسميتها ليطابق اسمها معناها، نصيحة الصفا في قواعد الخلفا.

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

الباب الثاني في حرز المملكة وحفضيتها:

وهو مبني على ثلاثة قواعد كما قبله، حفظ الحرمة والاستغفار من الزلة، واستجلاب الدعوة، وفي كل منها ثلاثة أركان أيضا.

٭٭٭٭٭

فأما القاعدة الأولى: وهي حفظ الحرمة، فلأن من حفظ حرمة الله حفظت حرمته، كما ورد الوعد به، وهو سنته تعالى في عباده.

وأركانها الثلاثة أحدها توقير الصالحين من عباد الله تعالى، وثانيها مراعات شرائع الدين، وثالثها عدم إهانة الضعفاء والمساكين.

فأما توقير الصالحين فقد قال الله تبارك وتعالى فيما يروي عنه نبيه(ﷺ) من أذى لي وليا فقد أذنته بالحرب، وفي عدم توقيرهم نوع من إذايتهم في عزهم، ومن كان في حرب الله فكيف يكون له أمان وحرز عند الله تعالى.

٭٭٭٭٭

ومما يجعل به توقيرهم، توقير من ينتسب إليهم في غير الحدود الشرعية، قال الله تعالى في توقير الأبناء بحرمة الآباء، "وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحت كنز لهما وكان أبوهما صالحا" وأوكدهم في الإحترام أهل البيت، أبناء مولاتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها.

٭٭٭٭٭

ومما يحصل توقيرهم به محبتهم، والدعاء لهم، وترك التعريض لهم، بالإنكار عليهم أحياء وأمواتا، لأن حرمتهم أحياء كحرمتهم أمواتا، ومما يكمل ذلك حسن الظن بكل من أظهر سيرتهم وتمذهب في الظاهر بمذهبهم، ما لم يظهر منه منكر شرعي، لأنه ولو احتمل أن يكون في نفسه على خلاف ذلك فتركه وما عليه، حيث لا يظهر منكر أسلم وليحذر من جانب أولياء الله كل الحذر، فإن لهم جزئيات تحرم بحسب الظاهر في متخطي حماهم قواعد الشرع.

وقد تقرر أن مهمات العالم ومنها الخلافة لا يقع شيء منها إلا عن وفاقهم، ومعاذ الله تعالى أن يعلم من قلب العبد محبتهم وتعظيمهم فيقع له من جانبهم هتك لحرمته، وزوال لرفعته، وهذا المعنى أيضا وهو تعظيم الصالحين، قد أخذ منه أميرنا المنصور بالله تعالى الحظ الأوفر والقسط الأكبر فتراه أدام الله توفيقه يحترم المنتسبين لذلك الجانب، ويعظم كل من له مع ولي من أولياء الله ولو بعيد الانتساب ا، عترام من تقررت حقائق دينه وظهرت دلائل يقينه ولو كان ظاهره عامي المعاملة منبوذ المكانة، وكل ذلك مما يدل على كمال عقله، ورجاحة ميزانه وفضله، وعلى هدايته لأحسن المراشد، والاحتياط في بلوغ المقاصد، والله يكمل عليه بتقاه، وإعانته على كل ما كلفه به مولاه.

٭٭٭٭٭

وأما مراعات شعائر الدين، وإقامة حدود قواعد المسلمين فلأن من تهاون بما تجب مراعاته من القواعد، فقد استحق التهاون بأمره، والإستخفاف عند الله بحقه، كما ورد به الوعيد، وتقرر من الضروريات العلمية، ومن كان في استحقاق التهاون فكيف يكون له أمان وحرز عند الله تعالى، ومراعاتها تحصل بإقامة الخمس في المساجد، وترتيب أيمتها، وإقامة المؤذنين فيها، وأخذ الزكوات من أربابها، وإلزام الناس إقامة حق رمضان، والأعياد، وتعظيم الحرمين الشريفين وغير ذلك، وقد أخذ أيضا أميرنا من هذا المعنى بما قد علم، فقرينا المساجد، وتنبيه لأيمتها ومؤذنيها، وواصل الحرمين الشريفين بما علم وفعل غير ذلك، والله يديم حرزه ومنافعه للمسلمين، ويكمل به رفعة مصالح الدين آمين.

٭٭٭٭٭

وأما عدم إهانة الضعفاء والمساكين فقد قال النبي(ﷺ) هل تنصرون إلا بضعفائكم، فإهانة الضعيف مسقطة للنصرة به ، وإن لم يكن في نصرة الله فهو في خذلانه، ومن كان في خذلان الله تعالى، فكيف يكون له أمان وحرز عند الله عز وجل، ويحصل عدم إهانتهم، بالرفق بهم، في غير الحدود الشرعية، وثانيهم بإظهار أن لهم حظا يؤدى ومراعات توفى، وفي ذلك أيضا فائدة أخروية، وهي ما ورد من الأمر باتخاذ اليد عند المساكين، لأن لهم دولة يوم القيامة، وأنهم يشفعون فيمن أحسن إليهم، وقد أخذ من هذا الخلق أميرنا أيضا ما نسأل الله تعالى أن يجازيه به أحسن الجزاء، ويكرمه به بأحسن ما يتمنى، فإنا لا نعلم مسكينا بلغ بين يديه يعلمه مسكينا فعاد بلا تأنيسه، وقضاء حاجته، وتأميله إياه بما يسره في مناسبة حالته.

٭٭٭٭٭

وأما القاعدة الثانية: وهي الاستغفار من الزلة: فأركانها ثلاثة أيضا، أحدها ترك ما كان تركه حقنا لله تعالى، كترك الزنى وشرب الخمر، وترك التكاسل عن صلاة الفرض، وثانيها الاستحلال مما كان تركه حقا للمخلوق، كالإداية في الأموال والنفوس، وثالثها العزم على أن لا يعود في المستقبل لما قد فعل، وإنما كانت هذه الثلاثة من الحرز لأن الإصرار على الزلة من موجبات السخط لما علم من الدين بالضرورة، إن كل معصية تحتها سخط الله تعالى، ومن لابس ما تحته السخط فكيف يكون له عند الله عز وجل أمان وحرز فكان الاستغفار الجامع لهذه الأشياء حرزا من السخط المترتب على نفي كل منها، قال الله تبارك وتعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون.

وليس من شرط هذا الحرز عدم الوقوع في الزلة بل الشرط عدم الإصرار عليها فإن من تاب كمن لا ذنب له، وقال(ﷺ): والله لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتي بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم، ولقد أخذ أميرنا أيضا من هذا الخلق بحظ معلوم فإنه نصر الله أعلامه، وقرر على العدل أحكامه، كثيرا ما نشاهده إذا صدرت كلمة منه أو فعل من غيره أحق في جنب أحد يستعفى من وقع بينه وبينه ذلك من ضعفاء المسلمين تحرجا من الآثام المتعلقة بحقوق المخلوقين، وربما لم يكتف بالسماحة النسانية من المستحيل حتى يحسن إليه لما يعلم أنه رضيٌ وصفيٌ قلبه، ولم يزده ذلك أدام الله النفع به، إلا رفعة عند كل أحد بسببه.

٭٭٭٭٭

وأما القاعدة الثالثة: وهي استجلاب الدعوة فأركانها أيضا ثلاثة أحدها مواصلة أهل الخير من المساكين، وثانيها إتيان الأفعال التي جرت العادة بالدعاء لصاحبها من المصالح العامة، كإسقاط العوائد الخارجة عن الشريعة وبناء القناطير وترتيب الأحباس في طرق الخيرات وغير ذلك، وثالثها استيداع الدعاء عند الأبرار وطلبه منهم ولو بالمكاتبة والمراسلة، ومن أحق من يستودع الدعاء عندهم أهل البيت، وإنما كان الدعاء الجامع لها حرز للمراد وتحصينا من كل فساد لما صح أن الدعاء من ظهر الغيب مستجاب، وأن البلاء يدفعه الدعاء بلا ارتياب، بمعنى أن الله تبارك وتعالى قد يوقف البلاء على عدم الدعاء فإذا ادعى ارتفع، ولا ينبغي أن يرتكب مريد الخلافة من الحياء والاستغناء ما يمنعه من موجبات هذا الحرز فإنه في الحقيقة هو الحرز الأعظم، وأسهل الحفايظ وجودا، وأكثرها في المراد نفعا، فقلما تراطأت دعوات المسلمين لاسيما الأبرار وأهل البيت منهم على شيء إلا كان، فإن السنة الخلق أقلام الحق، وهذا أصل عظيم في حصول كل مرغوب.

٭٭٭٭٭

وأميرنا وفقه الله لما يرضيه، وحصنه وأولاده بكل حصن ينجيه كثيرا ما جرى في ميدان تحصيل هذا الحرز الأعظم وإيجاد هذا فإنه يستكنف عن طلب الدعاء من كل أحد، وقد وضع كثيرا من العوائد الفاسدة بحضرته العالية مكناسة الزيتون، فاستحق بذلك دعاء من له ميز من المسلمين، كوضعية العمارية واجتماع النساء في الأسابع لما يترتب على ذلك من المفاسد، وقد وضع غير ذلك، وبنى القناطير، وإنشاء الأصول العامة النفع، وأسس أسوارها والله يتقبل عمله، ويبلغه في الدارين أمله.

٭٭٭٭٭

واعلم أن دلائل هذه الأحكام تركنا سوْق الكثير منها لأنها بمنزلة ما علم من الدين ضرورة.

الباب الثالث في استقرار الخلافة، ورسوخها ودوامها:

ويتضمن كما قبله ثلاث قواعد عليها ينبني، وفي كل قاعدة ثلاثة أركان.

القاعدة الأولى: وهي الجامعة لغيرها، وغيرها بالنسبة إليها كذكر خاص بعد عام هي العدل والثانية الأمر بالمعوف والنهي عن المنكر، والثالثة سد الثغور وإقامة الجهاد.

فأما العدل فأركانه ثلاث: معادات الهوى، ومراقبة المولى، وملازمة الصبر على الجفا، وإنما كانت هذه أركان العدل لأن متبع الهوى يحيد به لا محالة عن الطريقة المثلى قال الله تعالى: ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، والضال عن السبيل جوهر ظاهر، لا يمتري فيه مكابر، ومن لا يرى المولى يغيب في مراقبة الورى، فتسلك به غيبته في مراعات الخلق متابعة هواهم، وتسلبه عن مرضات الرب، رعاية رضاهم، والخروج عما يرضي الله تعالى جور متبين، وضلال متعين ومن لا يلازم الصبر على الجفا استخفته مزاحمة الخلق إلى الباطل، وأوجبت له الحدة الخروج عن المقام العادل، فإذا اتصف العبد بهذه الأركان، كان له في أندية العدل ارفع مكان.

وإنما كان العدل من موجبات رسول الدولة ودوامها لأن الله تعالى مع العدل، حيث كان، والمعية الإختصاصية تقتضي غلبة من سواها والدول لا تزول بالموت لأن لكل ميت خلفا، وإنما تزول بالمعاذرين المفسدين ومن قام يريد أن يفسد على العدل فسد هو عمله، وانقطع به قبل الوصول أمله، قال تعالى انه لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

فالعادل القرشي لا يعاديه أحد إلا كبه الله على وجهه، كما في الحديث الشريف، وفي الحديث أيضا هل تقاتلون إلا بأعمالكم، وقال تعالى: "إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا"، ولقد شوهد مصداق هذا أميرنا المؤيد لازال موالا بالنصر المجرد فإنه ما توجه لوجه إلا كان فيه من الفائزين، ولا قابله أحد إلا كان أميرنا من الظافرين، وذلك لانطباعه على محبة العدل، وأظن أنه ما حضر ناديا مع وزرائه إلا وعظهم به، وأكد الوصية عليهم في التحافظ عليه، سدد الله تعالى عزمه في بلوغ الخيرات، وشيد أمره في جميع المكرمات.

٭٭٭٭٭

وأما القاعدة الثانية: وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأركانها أيضا ثلاثة أحدهما التفريق بين المنكر والمعروف، وثانيها عدم المبالات بلايم من شريف، ومشروف، وثالثها استواء الناس عند الأمر الناهي من مجهول ومعروف، وإنما كانت هذه أركانا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن من لا يفرق بينهما لم يأمن من عكس المطلوب، وانقلاب الحقيقة في المرغوب، ومن راقب لؤم الناس أخرجوه في الحق عن القياس، ومن لم يستو الناس لديه، كان معروفه أو قريبه أعز عليه، فربما يتساهل معه في زجره، فيترخص له في ترك عرفه واتيانه لنكره، وإنما كانت هذه القاعدة من مؤيدات الدول، ومما يرفع عن الخلافة ورود الخلل لأن الدول لا يزلزلها كما تقدم إلا الفساد، والفساد لا سبيل إليه إلا بخمود أرياح النصر بين العباد، وفي الحديث الشريف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مؤيدات النصر والظفر، وقال تعالى في مدح أربابه "الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور"وقال تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعرروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"، وقال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"، ولقد أخذ أميرنا أيده الله تعالى من هذا المعنى أيضا حظا وافرا، فلقد شوهد كثيرا في أنديته إذا اطلع على منكر تزبد وجهه، وتضيق أمره، حتى ينتصف بحيث يجزم الحاضر بأن طلك ليس من الإستعمال بل من الخلق المنطبع، ولا يستثني في ذلك قريبا ولا بعيدا، وعلى هذه الحالة شوهد أمدا مديدا والله يكمل عليه المرغوب، ويبلغه بنيته كل مطلوب.

٭٭٭٭٭

وأما القاعدة الثالثة: وهي سد الثغور وإقامة العدة وبذل الخراج للجند في الرخاء والشدة، وتحصين الثغور بالأسوار مع إسكانها أهل النجدة، وإنما كانت هذه أركانا لأن حقيقة الجهاد والسد لا تتصور في الخارج إلا بها، وتختل عن الوجود بنقصانها وانسلابها، وكان الجهاد من مؤيدات الدولة بما فيه من محبة الله ومن موجبات رضاه قال تعالى: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص"، وفي الصحيح والروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، وفي الحديث من اغبرت قدماه في سبيل الله لم تمسه النار، وروي أنه قال عليه السلام لرجل لو صمت النهار وقمت الليل ما بلغت نوم المجاهد في سبيل الله، كالصائم لا يفطر والقائم لا يفتر حتى يرجع إلى أهله، وروي ما جميع أعمال البر في الجهاد الا كبصقة في البحر إلى غير هذا مما لا ينحصر.

٭٭٭٭٭

فإذا كان المجاهد مما يوجب المحبة من الرب، ويوجب كون المجاهد أفضل من جميع المتقين المحسنين، فالله تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وذو المعية الاختصاصية لا يغلب، لأنه في حضرة القهرية، فكان الجهاد من مرسية المملكة ومن محققه دوامها، ولقد أخذ أميرنا أدام الله توفيقه من هذا أيضا حظا وافرا، فقد مضى قبله ملوك لم تكن مدن النصارى تلقي إليهم بالا ولا تختشي منهم تضييقا ولا نكالا، ولم يكن يجتمع عند أحدهم إلا ثلثمائة من الأسارى وشرذمة قليلة من النصارى، حتى بعث الله عليهم فافتتح من مدنهم اضرها على المسلمين وأقواها لفساد الدين، كانت أبقى الله وجوده لفتح الباقي قدى عينيه، فلم يزل بها حتى فتحها الله تعالى عليه فتح من مدنهم العرائش والمهدية وطنجة ... وقد اجتمع عنده من أسارى الكفرة مما جلب من تلك المدن، ومما جلب من السفن التي اقامها للجهاد وأعدها لإذلال الكفرة أهل الفساد جمع عظيم بسلع السوق عديدة وفدى من بر النصارى أهلكهم الله تعالى منين كثيرة من المسلمين، ولم يفعل ذلك قبله واحدا من الأمراء والله يتقبل عمله ويبلغه في الدارين أمله.

(يتبع)

في ظلال الحديث :

الحديث الثامن والتسعون: التحذير من الكذب

نص الحديث:

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا" متفق عليه.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)ح5629، ومسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله،ح4719، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب ح433، وابن ماجة في كتاب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، وأحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند عبد الله بن مسعود، ح3456، ومالك في الموطأ بلاغا، كتاب الجامع، باب أن عبد الله بن مسعود كان يقول: عليكم بالصدق...، والدارمي في كتاب الرقائق، باب في الكذب ح2599... وغيرهم.

سند الحديث:

هذا الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، فقال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

×عثمان بن أبي شيبة: هو أبو الحسن، الكوفي الحافظ الكبير عثمان (بن أبي شيبة) بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفي صاحب المسند والتفسير، قال ابن معين ثقة مأمون وسئل عنه أحمد بن حنبل فقال ما علمت إلا خيرا، عاش بعد إسحاق ستة أشهر ومات في أول سنة تسع وثلاثين ومائتين (239)رحمه الله تعالى.

×جرير: هو أبو عبد الله جرير بن عبد الحميد الحافظ الحجة الضبي الكوفي محدث الري ولد سنة عشر ومائة(110)وسمع من منصور بن المعتمر وحصين بن عبد الرحمن وعدة وقرأ القرآن على حمزة حدث عنه علي بن المديني وإسحاق ويوسف بن موسى القطان وأحمد بن حنبل وعلي بن حجر وعثمان بن أبي شيبة وخلق كثير رحل إليه المحدثون لثقته وحفظه وسعة علمه. قال ابن معين سمعته يقول عرض علي بالكوفة ألفا درهم يعطوني مع القراء فأبيت ثم جئت أطلب ماعندهم، قال يحيى بن معين طلب جرير الحديث خمس سنين فقط. توفي بالأي في سنة ثمان وثمانين ومائة (188).

منصور: هو أبو عتاب منصور بن المعتمر السلمي كوفي ثقة ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة وكان حديثه القدح لايختلف فيه أحد متعبد رجل صالح أكره على قضاء الكوفة فقضى عليها شهرين، روى من الحديث أقل من ألفين وكان قد عمش من البكاء وصام منصور ستين سنة وقامها وتوفي سنة ثنتين وثلاثين ومائة(132).

× أبو وائل: هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي من أصحاب عبد الله بن مسعود، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر بعده، ثقة رجل صالح، عن الأعمش عن إبراهيم قال: لقد أدركت أصحاب عبد الله وأنهم ليعدون شقيق بن سلمة من خيارهم وكان لأبي وائل خص يسكن فيه فإذا خرج إلى الغزو أخربه، ومناقبه كثيرة، توفي رحمه الله سنة 82هـ.

عبد الله: هو الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة رضي الله عنه أحد السابقين الأولين، شهد بدرا والمشاهد، وهاجر الهجرتين، مناقبه كثيرة وعلمه غزير،أسلم بمكة قديما وهو سادس من أسلم، كما قال رضي الله عنه: "لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا" وكان رضي الله عنه، صاحب سر المصطفى (ﷺ) وكان عالما بكتاب الله وفي ذلك يقول: "والله مانزلت من القرآن سورة إلا أنا أعلم حيث أنزلت ولاأنزلت منه آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته". ويكفيه فخرا أن رسول الله (ﷺ) قال فيه: "خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي كعب"رواه البخاري ومسلم وقوله (ص): "رضيت لأمتي مارضي لها ابن أم عبد". وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. مات رضي الله عنه بالمدينة ودفن بالبقيع سنة 32هـ وعمره 63سنة، وروي له848حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث غاية في الأهمية، خصوصا في زمننا هذا الذي قد يكون عند بعض الناس هداهم الله، الكذب قاعدة والصدق استثناء بل لقد أصبح التعامل مع الكذب عندهم شيئا عاديا وطبيعيا، لايتورعون ولايخافون، ومن ذلك ما استورده بعض أبناء جلدتنا من عادات جاهلية ومنها مايدعى" "كذبة أبريل"، وللتنبيه فالكذب حرام في أبريل وغيره...

مفردات الحديث

"الكذب": هو الإخبار بخلاف الواقع.

"الفجور":هو الفسق والتغماس في المعاصي والمجاهرة بها، وهو اسم جامع لكل شر.

المعنى العام:

تقديم: إن الكذب من مساوئ الأخلاق، وبالتحذير منه جاءت الشرائع، وعليه اتفقت الفطر، وبه يقول أصحاب المروءة والعقول السليمة.

وفي شرعنا الحنيف جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، وعلى تحريمه وقع الإجماع، وهو من الكبائر، بل وكما ثبت عن النبي (ﷺ)، أنه يمكن للمسلم أن يقع في بعض الذنوب إلا الكذب، وكان للكاذب عاقبة غير حميدة إن في الدنيا وإن في الأخرة.

ولم يأت في الشرع جواز "الكذب" إلا في أمور معينة لايترتب عليها أكل حقوق، ولاسفك دماء ولاطعن في أعراض...الخ، بل هذه المواضع فيها إنقاذ للنفس أو إصلاح بين اثنين، أو مودة بين زوجين.

ولم يأت في الشريعة يوم أو لحظة يجوز أن يكذب فيها المرء ويخبر بها مايشاء من الأقوال، ومما انتشر بين عامة الناس مايسمى "كذبة أبريل" وهي: زعمهم أن اليوم الأول من الشهر الرابع الشمسي. أبريل. يجوز فيه الكذب من غير ضابط شرعي، فهو أمر باطل لاأساس له.

1ـ تحريم الكذب:

أ. قال تعالى : (إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)سورة النحل/الأية:105، قال ابن كثير: إنما يفتري الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرار الخلق الذين لايؤمنون بآيات الله من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس.

ب. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: الذي قاله المحققون والأكثرون. وهو الصحيح المختار. : أن معناه: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم...

2. اشنع الكذب وأخطره:

أ. الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:وهو أعظم الكذب، وصاحبه معرض للوعيد الشديد، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى تكفير فاعله، قال تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون).

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاتكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار". رواه البخاري. وقوله صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"متفق عليه.

ب. الكذب على الخلق: مثلا الكذب في البيع والشراء: عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة، ولاينظر إليهم، ولايزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يارسول الله؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"رواه مسلم.

ت. تحريم الكذب في الرؤيا والحلم

وهو مايدعيه بعضهم أنه رأى في منامه كذا وهم غير صادق، ثم يصبح يقص على الناس ما لم ير. عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون. أو يفرون منه. صب في أذنه الأنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ" رواه البخاري.

ث. تحريم التحدث بكل مايسمع: عن حفص بن عاصم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع"رواه مسلم.

ج. الكذب في المزاح: يظن بعض الناس أنه يحل له الكذب إذا كان مازحا، ويقول لك إذا نصحته: إنما قلت ذلك مازحا. وهو العذر الذي يتعذرون به في كذبهم في أول "أبريل" أو في غيره من الأيام، وهذا خطأ، ولا أصل لذلك في الشرع المطهر. فالكذب حرام مازحا كان صاحبه أو جادا.

ح. الكذب في المزاح حرام كالكذب في غيره. عن ابن عمر قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إني لأمزح ولا أقول إلا حقا". حديث صحيح. وفي هذا بيان أن هذا الدين هو دين الصدق لامجال فيه كذب سواء في وقت الجد أو الهزل...

خ. الكذب في ملاعبة الصبيان: ينبغي الحذر من الكذب في ملاعبة الصبيان فإنه يكتب على صاحبه، وقد حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما أردت أن تعطيه؟"قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة".

د. الكذب للإضحاك:

ففي معاوية بن حيدة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك له القوم فيكذب، ويل له، ويل له"رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن

3. كذبة أبريل:

وأما كذبة أبريل فلم يعرف أصل هذه الكذبة على وجه التحديد وهناك آراء مختلفة في ذلك" فذكر بعضهم أنها نشأت مع احتفالات الربيع عند تعادل الليل والنهار في 21 من شهر آذار...

ويرى بعضهم أن هذه البدعة بدأت في فرنسا عام (1564م)بعد فرض التقويم الجديد كما سبق إذ كان الشخص الذي يرفض هذا التقويم الجديد يصبح في اليوم الأول من شهر أبريل ضحية لبعض الناس الذين كانوا يعرضونه لمواقف محرجة ويسخرون منه فيصبح محط سخرية الأخرين.

ويرى بعضهم أن هذه البدعة تمتد إلى عصور قديمة واحتفالات وثنية لارتباطها بتاريخ معين في بداية فصل الربيع إذ هي بقايا طقوس وثنية ويقال إن الصيد في بعض البلاد يكون خائبا في أول أيام الصيد في بعض البلاد في الغالب فكان هذا قاعدة لهذه الأكاذيب التي تختلق في أول شهر أبريل.

يطلق الفرنسيون على كذبة أبريل "سمكة أبريل" وسبب تسميتها بهذا الاسم أن الشمس تنتقل فيه من برج الحوت إلى مايليه أو لأن كلمة (بواسون) السابقة التي معناها سمكة محرفة من لفظ باسيون التي معناها "العذاب" إذ هي رمز للعذاب الذي كابده عيسى عليه الصلاة والسلام فيما يدعيه النصارى ويزعمون أنه حدث في أول شهر أبريل.

ويسمى هذا اليوم عند بعض الكفار بيوم جميع الحمقى والمغفلين: كما أطلقه الإنجليز وذلك لما يفعلونه من أكاذيب حيث قد يصدقهم من يسمع فيصبح ضحية لذلك فيسخرون منه.

ولايهمنا في حقيقة الأمر، معرفة أصل هذه الكذبة بقدر مايهمنا حكم الكذب في يومها، والذي نجزم به أنها لم تكن في عصور الإسلام الزاهرة الأولى، وليس منشؤها من المسلمين، بل هي من أعدائهم.

والحوادث في كذبة أبريل كثيرة، فمن الناس من أخبر بوفاة ولده أو زوجته أوبعض محبيه فلم يحتمل الصدمة ومات، ومنهم من يخبر بإنهاء وظيفته أو بوقوع حريق أو حادث تصادم لأهله فيصاب بشلل أو جلطة أو ماشابههما من الأمراض. وبعض الناس يتحدث معه كذبا عن زوجته وأنها شوهدت مع رجل فيسبب ذلك قتلها أو تطليقها.

وهكذا في قصص لاتنتهي وحوادث لانهاية لها، وكله من الكذب الذي يحرمه الدين والعقل، وتأباه المروءة الصادقة.

وقد رأينا كيف أن الشرع حرم الكذب حتى في المزاح، وأنه نهى أن يروع المسلم سواء كان جادا أو مازحا معه في الحديث أو الفعل، فهذا شرع الله فيه الحكمة والعناية بأحوال الناس وإصلاحهم.

وموعدنا في الجزء الثاني مع عاقبة الكذب في الدنيا والأخرة وأقوال السلف فيه، والله ولي التوفيق.

حديث المنابر

مبدأ التكافل في الإسلام

■ الفقيه: محمد الوناس
عضو المجلس العلمي وخطيب مسجد حي القسم

■ الحمد لله على إحسانه والشكر له على فضله وامتنانه وأشهد أن لاإله إلا الله الغني ونحن الفقراء، القادر المقتدر ونحن الأذلة الضعفاء، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه والمهتدين بأعماله وأقواله.

أما بعد:

أيها الإخوة المسلمون، إن الدين الإسلامي الحنيف قد وثق علاقة المسلم بالمسلم وبناها على أقوى أساس حيث جعل المسلم أخا للمسلم يفرح لفرحه، ويتألم لألمه، يعينه عند الحاجة ويقويه عند الضعف، ويقف بجانبه عند الشدة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه بأن يكونوا إخوة في الله متعاونين على الخير متراحمين فيما بينهم يقول عليه الصلاة والسلام: (الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ويقول الله تعالى مثنيا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فالأمة الإسلامية أمة واحدة متضامنة متعاونة متماسكة.

والمجتمع الإسلامي مجتمع التكافل والتعاون والتراحم والتعاضد يعين فيه الغني الفقير والقوي الضعيف، فهو كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ولذلك ترى الإسلام البصير بطبائع النفوس وحنايا الضلوع يأمر أهله بكسب المال من حله ويعده نعمة كبرى ساقه الله إلى عباده ولكنه في الوقت نفسه يحذرهم من أن يكونوا له عبيدا أرقاء ويدعوهم إلى إنفاقه في سبيل الله وسبيل كل واد من أودية الخير يكسب بها المرء نفعا طيبا لنفسه أو لأهله أو لبني جنسه ويعدهم على ذلك المضاعفة وحسن العوض ولذلك يقول القرآن: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" ويقول الحديث: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" فالمسلم ذو المال لايضن بماله بل ينفقه في وجوه البر والخير ويكون كريما سمحا يمد يده للفقير والمسكين والمحتاج ويمسح بما يقدمه من مساعدات دموع المعوزين والبائسين، وإن كتاب الله تعالى وسنة رسوله مليئان بالتوجيهات والعظات التي ترغب المؤمن في الإحسان والتصدق وتنفره من البخل والشح وتبين أن مال العبد مايقدمه ويدخر ثوابه عند الله، وان الله لايضيع أجر من أحسن عملا، بل يحفظه ويوفيه إياه يوم القيامة، عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "مابقي منها؟قالت: مابقي منها إلا كتفها"رواه الترمذي، فالإنفاق في طرق الخير والبر من أعظم القربات وأفضل الحسنات التي تقرب إلى الله وتجعل المنفق من المتقين المسارعين إلى الجنة ونعيمها قال تعالى:(سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)وقال تعالى: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل وفي الآخرة بالجزاء والثواب، قال تعالى (وماتنفقوا من خير فإن الله به عليم) أي لايخفى عليه شيء منه وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟قالوا: يارسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ماقدم ومال وارثه ما أخر) رواه البخاري.

ولقد كان السلف الصالح يتاجرون ويعملون فيكسبون ويزكون ويجمعون الكثير الطيب الذي يسر ويعجب ثم يذكرون مع هذا أو بعد هذا أنهم من الذين(في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) فيستجيبون لصرخة الملهوف، ويعينون المكروب ، ويبذلون في المكارم والعظائم والخطوب، مؤمنين أن المال غاد ورائح، وأن الرجال بالأعمال والأخلاق، لا بالسبائك والأوراق، وأن المنفقين لهم من الله حسن الخلف وأن الأشحاء لهم منه سوء التلف (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا).

فاتقوا الله عباد الله وكونوا إخوة متحابين متعاضدين على الخير متعاونين وتذكروا على الدوام قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره".

أيها الأخوة المسلمون، إن الأموال التي بأيديكم لم تحصلوها بقوتكم وإنما هي رزق تفضل الله به وأنعم به عليكم، فمن الواجب شكر هذه النعمة بإخراج بعض ماأنعم الله به عليكم تواسون به إخوانكم المعدمين، وتمسحون به دموع المعوزين والبائسين، واعلموا رحمكم الله أن الصدقة لاتنقص المال بل تزيده وتنميه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا وماتواضع عبد إلا رفعه الله".

ولقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة في الجود والإنفاق في سبيل الله، عن أنس رضي الله عنه قال: ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال ياقوم (أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لايخشى الفقر) فالمسلم يقتدي بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وبالسلف الصالح الذين ينفقون ولايبخلون ويعطون ولايمنون لأنهم ذاقوا طعم الإسلام ووجدوا حلاوة الإيمان.

نفعني الله وإياكم بالقرآن المبين وبحديث سيد الأولين والآخرين وأجارني وإياكم من عذابه المهين.

(تتمة ص: 2)

■ واهتم الاستاذ سعيد أعراب بإبراز الشخصية المغربية في علم القراءات، وكيف أصبح مقرأ نافع المذهب الرسمي للدولة، وعرف بنافع ورواته، وذكر مدرسة ابن بري في أصول حرف نافع وما كان لهذه المدرسة من آثار ونتائج وإقبال، وأصبحت منظومة ابن بري التي تحمل اسم: "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع" ذائعة الصيت، وطارت شهرتها في الآفاق، واغنت عما ألف في موضوعها، واهتم العلماء بها وكثرت شروحها، بالاندلس والمغرب والجزائر وتونس...

وكل ذلك أعطى للمدرسة المغربية القرآنية . ابتداء من القرن السابع مكانة مرموقة، ابتداء من عهد الموحدين الذين كانت لهم عناية بالدراسات القرآنية، وازدهرت هذه المدرسة في العهد المريني على يد شيوخ هذا العلم، يأتي في طليعتهم أبو عبد الله محمد الخرازي: (ت:718هـ)واستمر ذلك إلى عهد ابن غازي: (ت:841هـ) الذي أعطى لهذه المدرسة نفسا جديدا على عهد الوطاسيين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وواصلت عطاءها على عهد السعديين والعلويين، والكتاب يذكر عددا وافرا من القراء المغاربة المشهورين بضلوعهم في علوم القراءات والرسم والضبط، وتحدث حديثا مسهبا عن وقف الهبطي المعمول به عند أهل المغرب.

والحقيقة أن كتاب سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب كان فتحا لعهد جديد من العناية بالدراسات القرآنية، لأنه قبل صدور هذا الكتاب سنة:1990 بأكثر من عشرين سنة كان الأستاذ ينشر مقالات وأبحاثا بميثاق رابطة علماء المغرب، وبمجلة دعوة الحق، تتناول موضوع القراء والقراءات بالمغرب، وكانت تلك الأبحاث والمقالات نبراسا وجه به الاستاذ سعيد أعراب الباحثين والدارسين لهذا الموضوع الذي لم ينل حظه بالقدر الكافي في برامج المعاهد الدينية في العهود المتأخرة، وبذلك أصبح الأستاذ سعيد أعراب مقصد طلاب الدراسات العليا في هذا المجال، يوجه ويرشد ويشجع على البحث في الدراسات القرآنية وعلى العناية بحرف نافع بالذات، وأعطت توجيهاته ثمارها فنوقشت عدة رسائل وأطروحات في هذا الموضوع، وطبع العديد منها وآخرها أطروحة الدكتور عبد الهادي حميتو في خمسة أجزاء، تعتبر شرحا ضافيا لمحتويات كتاب الأستاذ سعيد أعراب، وهي أطروحة نفيسة في بابها، بذل فيها الأستاذ الباحث جهدا مشكورا، وجاءت عملا جادا موثقا، ودراسة نموذجية، ولو امتد العمر بأستاذنا سعيد أعراب، واطلع على هذا العمل الجليل، ورأى أن المؤلف شرح ما أجمله، وتوسع في التعريف والترجمة لكبار القراء المغاربة والأندلسيين والأفارقة الذين كان لهم الفضل الكبير في ترسيخ قراءة الإمام نافع برواية أبي سعيد ورش.

وهذه الأطروحة القيمة طبعت أخيرا بعناية من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقدم لها الاستاذ الدكتور الباحث السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية تقديما علميا نفيسا.

ويذكر مؤلف الاطروحة: أن قراءة الامام نافع لم تنل من العناية ماناللته الدراسات الفقهية والمذهبية، ويقول "لاحظت أنه كتب في الجانب المذهبي والفقهي البحوث والمؤلفات وعقدت له اللقاءات والندوات... بينما كان التقصير باديا بالنسبة لقراءة نافع، وقد كانت جنبا إلى جنب..."

وهذا ماتفطن له الأستاذ سعيد أعراب رحمه الله فكان بذلك الرائد الذي لايكذب أهله، وقد أثمرت توجيهاته في كثير من ميادين المعرفة، لا في ميدان الدراسات القرآنية فقط. ومما ذكره الاستاذ سعيد أعراب، وأكده الدكتور عبد الهادي حميتو، يتبين أنه من الواجب على المغاربة أن يحافظوا على قراءة الامام نافع برواية ورش، وطريقة أبي يعقوب الأزرق حتى لاتتعرض هذه القراءة، وهذه الرواية للإهمال، والانصراف عنها كلية.

وقد لاحظت وأنا أتتبع المباراة الدولية في حفظ القرآن وتجويده التي تنظمها إمارة دبي مشكورة بدولة الإمارات العربية المتحدة لاحظت أن عدد المشاركين يزداد في كل سنة، لكن قل منهم من يقرأ بقراءة نافع، وأخرى برواية ورش، مع العلم أن المباراة يفد عليها حفاظ القرآن الكريم من الشباب، والأطفال، من سائر أنحاء العالم ومن القارات الخمس، ولايقرأ بحرف نافع إلا من يفد من المغرب وهو طفل واحد، أو من دول أوروبا التي يقطن بها المغاربة، فنسبة القارئين بقراءة نافع لاتكاد تذكر، مع أن هذه القراءة كما يذكر السيوطي في حسن المحاضرة، وغيره، كانت سائدة في مصر وفيما والاها من البلاد الإسلامية، من برقة إلى قرطبة وطليطلة، ومع الزمان انحسرت هذه القراءة عن هذه البلاد، وعن موطنها الأصلي بالمدينة المنورة، وحلت محلها في غالب البلاد الإسلامية القراءة برواية حفص بل أصبح عدد من المغاربة اليوم يقرأون بحفص. وقراءة نافع كانت مواكبة في هذه البلاد لمذهب مالك في الفقه، ومعناه أن التشبث بأصالتنا يفرض علينا ألا نترك هذه القراءة التي اعتنى بها أسلافنا تضمحل وتنسى فعمل أستاذنا سعيد أعراب في هذا الميدان كان توجيها. موفقا هادفا والله تعالى ولي التوفيق.

علم التوقيت وآلة ذات الكرسي

- الحلقة الثالثة -

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

وجاء في أول هذه النسخة

يقول الشيخ محمد بن علي الحميدي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم.

نحمدك يامن يدور الفلك الدوار ، ويكور الليل على النهار ، ونصلي على من هو لخلق الأفلاك مدار ، ولكرسي السعادة معدل النهار ، وعلى آله نجوم سماء الاهتداء ، وأصحابه بدور بروج الاقتداء.

وبعد ، فيقول أفقر الخلق إلى العون المجيد محمد بن الشيخ علي الحميدي، لما كانت ذات الكرسي من الآلات الرصيدية كثيرة المحصول ويسيرة الحصول ، ومع هذا متروكة العمل بل منسية الأمل لعدم وفاء ما في بيانها من الرسائل ، ونقصان إفادة ما فيها من الوسائل ، رتب فيها : رسالة على مقدمة وثمانية عشر بابا.

المقدمة : الكرة:

ويقال لها ذات الكرسي أيضا ، هي آلة رصدية حاوية جسما كرويا وحلقتين مجسمتين مماستين له متقاطعتين على زوايا قائمة : وأما الرسوم فمنها نفس الكرة ، وهو جسم يحيط به سطح واحد على دوائر وأسماء البروج وبعض الكواكب ومنها فلك البروج، ويقال لها منطقة البروج ودائرة البروج أيضا، وهي الدائرة المرسومة على نفس الكرة المقسومة بيب 12 قسما، مكتوب على كل قسم منها ما يخص به من البروج، وكل قسم مجزء بثلاثين جزءا على التساوي مرقوما أعداده بالحروف ، ومنها دوائر العروض وهي الدوائر الستة المارة بأوائل البروج المتقاطعة في نقطتين بعيدتين عن دائرة البروج بض 90 درجة ، وهاتان النقطتان مسميتان بقطبي فلك البروج ، والغالب في هذه أن ترسم بالأحمر ، ومنها معدل النهار ويقال لها مدار الاعتدال ، وهي دائرة عظيمة مقاطعة دائرة فلك البروج في رأسي الحمل والميزان على زوايا مختلفة مقسومة بسص 360 قسما على تساوي ، مكتوب عليها أعدادها مبتدئة من رأس الحمل ومنتهية إلى آخر الحوت ، ومنها دوائر الميل وهي الدوائر الستة المتقاطعة في نقطتين، بعد كل نقطة منها عن المعدل ض 90 درجة عن أقرب قطبي فلك البروج بقدر الميل الأعظم ، وهاتان النقطتان مسميتان بقطبي المعدل، والغالب في هذه أن ترسم بالأسود، ومنها الدائرة المارة بالأقطاب الأربعة وهي الدائرة المشتركة بين دائرة العرض والميل، ومنها منازل القمر، وهي المدارات المختلفة في العظم والصغر المرسومة عليها أسماء الكواكب الثمانية والعشرون ، ومنها بعض الثوابت: ومنها دائرة نصف النهار ، ويقال لها دائرة الزوال ، لرجوع الجزء في زيادة الارتفاع إلى النقصان بعد وصوله إليها أيضا، وهي الحلقة المارة بقطبي المعدل المسمرة في نفس الكرة عندهما ، ونصف الكرة تدور فيها وهي مقسومة بسص360 قسما على التساوي، ومنها دائرة الأفق، وهي الحلقة التي تنصب عليها نفس الكرة وتقسم بسص 360 قسما على التساوي ، ومكتوب عليها أعداد الجهات الأربع ، وتماسها دائرة نصف النهار في جهتي الفاصل بين مشارق الصيف ومغاربه ، وبين مشارق الشتاء ومغاربه، ومنها خط المشرق والمغرب ، ويقال له خط الاعتدال ، وهو الخط المقطوع بدائرة الأفق المكتوب في طرفيه لفظ المشرق والمغرب، ومنها خط نصف النهار، ويقال له خط الزوال ، وهو الخط المقطوع بدائرة الأفق أيضا المكتوب في طرفيه لفظ الجنوب والشمال، ومنها قوس الارتفاع ، وهي قطعة من حلقة متساوية لربع حلقة الكرة ، وهي حلقة نصف النهار مقسومة ض 90 قسما على تساوي ، مكتوب عليها أعدادها، مبتدئة من طرفها السفلي المتحرك في الأفق ، ومنتهية إلى طرفها العالي الملازم لسمت الرأس، هذا ما يرسم في الكرة وقد يزاد وينقص.

. الباب الأول : في نصب الكرة وتحكيتها لحركة الفلك الأعظم في الآفاق والأقطار.

. الباب الثاني : في أخذ ارتفاع الشمس في أي وقت شئت من أوقات النهار.

. الباب الثالث: في جزء الشمس ويقال له درجة الشمس.

. الباب الرابع: في الميل.

. الباب الخامس : في عرض البلد.

. الباب السادس : في سعة المشرق والمغرب ونصف الفضلة.

. الباب السابع : في الدائر وفضل الدائر ونصف قوس النهار والليل وقوس كل واحد منهما وساعته الزمانية والاعتدالية.

. الباب الثامن: في حصتي العصر والغروب.

. الباب التاسع: في حصة الشفق والفجر.

. الباب العاشر: في معرفة الماضي من الليل والباقي منه.

. الباب الحادي عشر : في معرفة استواء الليل والنهار والاختلاف بينهما والاختلاف بين النهارين والليلتين في بلد واحد وأطول نهاره وأقصره والاختلاف بين نهاري بلدين.

. الباب الثاني عشر: في سمت الارتفاع والارتفاع الذي لا سمت له وارتفاع قطر المدار.

. الباب الثالث عشر: في استخراج الجهات الأربع على الأرض فيما شئت من العروض.

. الباب الرابع عشر: في معرفة سمت القبلة وانحرافها ونصب المحراب بأي بلد وأي يوم شئت.

. الباب الخامس عشر: في معرفة ارتفاع الكواكب في الكرة.

. الباب السادس عشر : في معرفة وقوع الخسوف والكسوف وعدمه في الشهر الذي أنت فيه.

الباب السابع عشر: في تسوية البيوت الاثني عشر.

. الباب الثامن عشر : في معرفة المطالع فلكية أو بلدية ومطالع النظير والوقت . انتهى.

وقد تعرض المستشرق . كرينيليوس فان ديك . في كتابه " أصول علم الهيئة" المطبوع في بيروت سنة 1874م إلى استخراج كثير من المطالب الفلكية بـ (كرة ذات الكرسي) ، كما استعان بها على شرح أصول الهيئة.

إن هذه الكرة الاصطناعية الفلكية المسماة بـ (ذات الكرسي) إذا كانت محكمة الصنع متقونة التخطيط مرسوم عليها أغلب الكواكب الثابتة تغني عن مرصد قبة السماء ، فهي قد ترسم عليها جميع الصور للكواكب المختلفة الأقدار، لأن هذه الكواكب الثابتة مما يعجز العقل عن ضبطها وإحصائها ، لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفا واثنين وعشرين كوكبا وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وثمانية عشر كوكبا، تتشكل منها ثمانية وأربعون صورة ، كل صورة منها تشتمل على كواكب ، وهذه الصور أثبتها بطليموس في كتابه . المجسطي . بعضها في النصف الشمالي من الكرة، وبعضها على منطقة البروج التي هي طريقة اليارات في النصف الجنوبي، فسمى كل صورة باسم الشيء المشبه به، فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء ، وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان، وبعضها على صور الحيوانات البرية كالحمل ، وبعضها على صور الطير كالعقاب، وبعضها خارجة عن شبه الحيوانات كالميزان والسفينة ، ووجد من هذه الصور ما لم تكن تامة الخلقة مثل قطعة الفرس، ومنها بعضه حيوان وبعضه الأخر من صورة حيوان أخر كالرامي، ومنها ما لم تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك بينهما مثل ممسك الأعنة فإنها لا تتم حتى تجعل الكوكب النير الذي على طرف القرن الشمالي من الثور مشتركا بينهما، فصار على الثور وعلى ممسك الأعنة ، وإنما ألفوا هذه الصور وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه، وذكروا موقفه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده في الشمال والجنوب من الدائرة التي تمر بأوساط البروج، وذلك لمعرفة أوقات الليل والطالع كل وقت، وأما الكواكب الأخرى وهي مائة وأربعة كواكب فإنها لم ينتظم منها شيء من الصور، فأضافوا كلما وجد منها قريبا من صورة إلى تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذي فوق رأس الحمل المسمى بالنطح، ولما وجدوا جميع الكواكب المذكورة مختلفة الأجرام بالنظر والعيان رتبوا في مراتب متوالية سموها أقدارا وأعظاما، فأعظامها خمسة عشر معدودة من العظم أو القدر الأول، ثم التي هي أصغر منها قليلا في .لقدر الثاني وهي خمسة وأربعون كوكبا، وفي القدر الثالث مائتا كوكب وسبعة كواكب ، وفي القدر الرابع أربعمائة وخمسة وسبعون كوكبا، ، وفي القدر الخامس مائتان وسبعة عشر كوكبا، وفي السادس ثمانية وخمسون كوكبا، وفي هذا القدر ماسماه بطليموس مظلما وهي تسعة سوى أخرى غير معدودة منها تسمى جملتها ذؤابة وضفيرة ، وما كان أصغر من القدر السادس فهو الذي لا يكاد البصر يستبينه على مدة ، وإن أدركه صعب عليه حفظه ورصده ، وبعد ذلك في السماء خمسة من جنس المجرة سحابية كأنها قطع غيم أو لطخات سحاب ، وبها يتم عدد الكواكب المرصودة ألفا واثنين وعشرين محصورة في ثمانية وأربعين صورة منها في النصف الشمالي من الكرة إحدى وعشرون صورة ، ومنها على فلك البروج اثنتا عشر صورة، ومنها في النصف الجنوبي من الكرة خمس عشرة صورة.

في مرونة الفقه المالكي

مالكية الأندلس والاستقلالية في الآراء: الحلقة الثانية

■ إعداد الدكتورة: بشرى الشقوري

■ بالرغم من أن المذهب المالكي أصبح مذهبا رسميا للأندلس، حيث استقر بقوة رجالاته وتأييد الحكام لهم عن اقتناع، فأثبتوه مذهبا رسميا للدولة، فإن الوقائع التاريخية تدلنا على أن بلاد الأندلس عرفت دخول مختلف المذاهب والاتجاهات، فبالإضافة إلى المذهبين المالكي والأوزاعي، كان الأندلسيون يتمذهبون بمذاهب مختلفة من الشافعية أو الظاهرية... ومن هنا فإن القول بأن الأندلسيين كانوا جميعا مالكية يتنافى مع الحقيقة ويصادم شواهد التاريخ. إذا كانت بلاد الأندلس بمثابة المرآة المقعرة التي تعكس مختلف التيارات والتوجهات.

هكذا، ما أن انتهى القرن الثالث الهجري حتى كان المذهب المالكي قد استقر بالأندلس وأصبح له أئمة بلغوا مرتبة عليا في الاجتهاد والاستنباط، بلغت تلك الاجتهادات وعدت بمثابة مخالفات استقل بها أئمة الأندلس عن رأي الإمام مالك، ورأي كبار أصحابه كابن القاسم، فأصبحت هذه الآراء هي المعتمدة والمتبعة في سائر بلاد الأندلس والمغرب، وعليها جرى العمل في القضاء والفتيا. حتى غدت تلك المخالفات عرفا متبعا ببلاد الأندلس ودرج عليها علماء المغرب، وهي ما اصطلح على تسميتها ب "عمل أهل قرطبة"، وهذا الاستقلال والانفراد في الرأي إن دل على شيء فإنما يدل على المنزلة الرفيعة التي بلغها مالكية الأندلس، وعلى مدى تفتح فقهاء أهل الأندلس على غيرهم من المذاهب، بحيث جمعت مروياتهم وآراؤهم الفقهية في مؤلفات أضحت عمدة وأصلا من أمهات الكتب في الفقه المالكي، التي تلقاها العلماء بالقبول، وعلى رأس تلك الأمهات "الواضحة" و "المستخرجة".

موقف العلماء من مسألة الانتقال من مذهب لآخر

للعلماء مواقف مختلفة في جواز الانتقال من مذهب إلى آخر، وحددها الزركشي في بحره المحيط في سبعة أوجه للعلماء فقال : "فلو التزم مذهبا معينا كمالك والشافعي واعتقد رجحانه من حيث الإجمال، فهل يجوز أن يخالف إمامه في بعض المسائل، ويأخذ بقول غيره من مجتهد آخر؟فيه مذاهب:

أحدها: المنع، لأنه قول إمام مستقل بآحاد الوقائع، فلا ضرورة إلى الانتقال إلا التشهي، ولما فيه من اتباع الترخص والتلاعب بالدين.

الثاني: الجواز، لأن الصحابة لم يوجبوا على العوام تعيين المجتهدين، لأن السبب، وهو أهليه المقلد للتقليد عام إلى أقواله، وعدم أهلية المقلد مقتض لعموم هذا الجواب، ووجوب الاقتصار على مفت واحد بخلاف سيرة الأولين، بل يقوي القول بالانتقال في صورتين:

إحداهما: إذا كان مذهب غير إمامه يقتضي تشديدا كالحلف بالطلاق الثلاث على فعل شيء ثم فعله ناسيا أو جاهلا، وكان مذهب مقلده عدم الحنث، فخرج منه لقول من أوقع الطلاق، فإنه يستحب له الأخذ بالاحتياط والتزام الحنث قطعا، ولهذا قال الشافعي: إن القصر في سفر جاوز ثلاثة أيام أفضل من الإتمام.

والثانية: إذا رأى للقول المخالف لمذهب إمامه دليلا صحيحا ولم يجد في مذهب إمامه دليلا قويا عنه ولا معارضا راجحا عليه، فلا وجه لمنعه من التقليد حينئذ محافظة على العمل بظاهر الدليل. وأما ما نقله بعض الأصوليين من الإجماع على منع رجوع المقلد عمن قلده فهو . إن صح . محمول على تلك المسألة بعينها بعد أن عمل بقوله فيها.

الثالث: أنه كالعامي الذي لم يلتزم مذهبا معينا، فكل مسألة عمل فيها بقول إمامه ليس له تقليد غيره، وكل مسألة لم يعمل فيها . بقوله فلا مانع من تقليد غيره.

الرابع: إن كان قبل حدوث الحوادث فلا يجب التخصيص بمذهب، وإن حدث وقلد إماما في حادثة وجب عليه تقليده في الحوادث التي يتوقع وقوعها في حقه، واختاره "إمام الحرمين".

الخامس: إن غلب على ظنه أن بعض المسائل على مذهب غير مقلده أقوى من قلده جاز.

السادس: اختاره "ابن عبد السلام" في "القواعد"، التفصيل بين أن يكون المذهب الذي أراد الانتقال عنه بما ينقض الحكم أولا، فإن كان الأول فليس له الانتقال إلى حكم يجب نقضه، لبطلانه، وإن كان المأخذان متقاربان جاز التقليد والانتقال، لأن الناس لم يزالوا كذلك في عصر الصحابة، إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة، من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره، ولو كان ذلك باطلا لأنكروه.

السابع: واختاره "ابن دقيق العيد"، وهو الجواز بشروط...

وللمالكية تفصيل في المسألة، فهم يميزون بين العامي وغيره، فمنعوا العامي من الخروج على المذهب، والعدول عن المشهور.. أما بالنسبة لغير العامي الذي يعتقد رجحان ماخالف فيه مذهبه، فهو جائز عندهم... واستدل على ذلك بما كان عليه أهل المغرب والأندلس قبل الانتقال إلى مذهب مالك رحمه الله... وبعد ذلك خروج أهل الأندلس عن رأي الإمام مالك في بعض الفروع الفقهية، ومخالفتهم للراجح والمشهور من مذهب الإمام. ويأتي على رأس الفقهاء الذين خالفوا مذهب مالك، الإمام "يحي بن يحيى الليثي" و "عبد الملك بن حبيب" و"ابن لبابة" وغيرهم... كما خالف أئمة الأندلس مذهب ابن القاسم في مسائل فقهية، هي محل إجماع واتفاق العلماء... كل هذا يقوم دليلا واضحا على أن فقهاء أهل الأندلس كانوا يواكبون تطور الحركة الاجتهادية، وكل ماجد من آراء ومواقف فقهية، لذا تجدهم بعيدين كل البعد عن منطق التعصب والجمود...

ثم إن هذه المخالفات قد أخذت صبغة العمومية، تجاوزت نطاق الاجتهاد الفردي الذاتي، إلى أن يلتزم أهل الأندلس جميعهم، بل وحتى أهل المغرب، بهذه المخالفات، مما أكسبها طابع الرسمية.

لذلك اهتم العلماء قديما وحديثا بهذا الموضوع، فأحصوا المسائل الفقهية الفرعية التي خالف فيها فقهاء الأندلس رأي الإمام مالك فأحصاها الإمام"ابو إسحاق الغرناطي" في ستة مسائل ذكرها في "وثائقه".

ومن الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بهذه المخالفات د.أحمد يوسف من جامعة القاهرة، حيث أحصى جميع المسائل الفقهية وجمعها في كتابه "ماخالف فيه الأندلسيون مذهب مالك" وتعهد في مقدمة كتابه بدراسة هذه المخالفات دراسة فقهية مقارنة، وجميع ما وصل إليه في بحثه ثماني مخالفات، ست منها هي التي نظمها "ابن غازي" في "أرجوزته"، ومسألتان ذكرتهما كتب الطبقات عند ترجمتها ليحيى بن يحيى، غير أن د.أحمد يوسف، فاته الشيء الكثير من المسائل الفرعية التي خرج فيها أهل الأندلس عن مذهب مالك.

مخالفتهم لرأي ابن القاسم والقول الراجح والمشهور في المذهب:

مثلت المدونة الكبرى ولاتزال تمثل في الفقه المالكي المرجعية التي لايستغنى عنها، فهي بعبارة جامع المذهب: "عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وكتاب إقليدس عند أهل الحساب"، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزي عن غيرها، ولايجزي غيرها عنها" وبعبارة صاحبها سحنون:"إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن، تجزئ في الصلاة عن غيرها، ولايجزئ غيرها عنها فهي أصل علم المالكيين كما قال ابن رشد.

ورغم هذه الأهمية الكبرى للمدونة ومكانتها المتميزة بين أمهات كتب الفقه المالكي فإن مالكية الأندلس خرجوا عن مذهب المدونة واستقلوا عن رأي ابن القاسم في عدة مسائل فقهية، واختاروا قول غيره من كبار الأئمة المعتمدة أقوالهم، وأصبحت هذه الأقوال هي المعتبرة، وبها جرى القضاء والفتيا بالأندلس.. ولأهميتها العلمية تتبعها العلماء بالجمع والإحصاء ودونوها في كتبهم.

ويعتبر كتاب "الواضحة في الفقه والسنن"، خير دليل على مدى ما وصل إليه ابن حبيب من رتبة عالية في الاجتهاد، حيث حوى كتابه هذا . بالإضافة إلى اشتماله على مرويات ومأثورات أئمة المذهب المتقدمين عن الإمام مالك . جملة من اجتهاداته واستنباطاته التي خالف فيها الراجح والمشهور من المذهب... ولعل اجتهادات ابن حبيب المتميزة في كتابه "الواضحة" هو الذي يفسر لنا ما ذهب إليه بعض العلماء حينما جعلوا لعبد الملك ابن حبيب مذهبا خاصا به.

وجملة القول يمكن أن نصنف هذه المخالفات والاتجاهات إلى مايلي:

الأول: ينزع إلى رواية أهل المدينة عن مالك: وقد عرف الاتجاه الأول في الأندلس، خاصة على يد عبد الملك بن حبيب وابن تارك الفرس، فهما "أكبر ممثلين لاتجاه يمكن أن نسميه مدنيا في داخل المالكية الأندلسية، حيث اتجه هؤلاء إلى العودة إلى مالكية المدينة باعتبارهم الأصل وغيرهم الفرع، بعد أن كان مالكية الأندلس يستمدون علمهم وفقههم من تلاميذ مالك المصريين من أضراب ابن القاسم وابن وهب وأشهب.. على أن ذلك الاتجاه المدني لم يقدر له نجاح كبير في الأندلس...

وأما الاتجاه الثاني الذي وجد لنفسه من يتبناه من بعض الفقهاء فهو فقه أشهب قرين ابن القاسم ومخالفه في كثير من الأحكام . كما سلف . وكان من أشهر من تبنى فقهه في الأندلس تلميذه سعيد بن حسان، قال ابن الفرضي: سمع من أشهب سماعه من مالك وكتب رأيه وغير ذلك... وكان الأغلب عليه حفظ رأي أشهب عن مالك وفقه أشهب. كان قد انفرد بروايته.

هذه إذن، صورة مصغرة لما كان عليه الوضع العلمي عند الفقهاء المالكية، يتجلى من خلالها اهتمامهم بالاتجاهات الفقهية المختلفة.. وهكذا كان فقهاء الأندلس عموما، كانوا ذوي سعة في الأفق، واختلاف في التوجهات.

علم التفضيل

■ إعداد الأستاذ: إدريس خرشاف

■ إن الدارس في عصرنا لكتاب الله عز وجل وسنة رسول المصطفى عليه الصلاة والسلام ، لابد وان تقع بصيرته على معجزات وقضايا عقلانية ربما لم يصل إليها إدراكه رغم كل التقنيات الحديثة المتوفرة للإنسان.

ورب سائل يقول : إذا كان رب العالمين ، قد أضفى على الأمة الإسلامية الشرعية الإنسانية بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس ، أفلا يحق لها دراسة هذا التمجيد والتفضيل من الناحية المخبرية حتى تتعرف على ميكانيزمات التقويم، وتبني على أرضية هذا التقويم علما جديدا يطلق عليه علم التفضيل؟ وتبقى في ذهن القارئ الكريم بجانب السؤال الكبير، عدة أسئلة جوهرية منها:

أولا . ما هو تقني، وهو المتعلق بمعرفة علم التفضيل، وكيفية تحويله من عبارات أدبية إلى مواد مخبرية.

ثانيا . ماهو روحي، وهو المتعلق بالرابطة التي تربط علم التفضيل بالقرآن الكريم، حتى لا تحدث هرطقات إنسانية وينتج عن ذلك فساد في الأرض.

أولا . علم التفضيل من الناحية التقنية:

يرتكز علم التفضيل عند بعض العلماء، على العمليات الحسابية المرتبطة بعلم الاحتمال والصدفة ، هذه الطريقة التي ناقشناها وقلنا إنه لا يمكن الاعتماد عليها من أجل ترجمة الظواهر الطبيعية ، ولا يمكن أن تكون لها مصداقية مادية واقعية إلا من خلال فضاء حساب التوقعات (L'estimation) .

وعلى سبيل المثال: إذا أردنا معرفة المدة الزمنية اللازمة من أجل تصنيع بروتين واحد يحتوي على 40 حامضا أمينيا (acides aminés) عن طريق استخدام علم الاحتمالات ، فإن ذلك سيتطلب زمنا مدته 20 20 X 20 x 20... ثانية (أربعون مرة) ، وهذه المدة الزمنية ستفوق بكثير الزمن الذي نشأ فيه الكون بملايير المرات.

وهناك طائفة أخرى من الباحثين تحاول ترييض فكرة التفضيل وجعلها علما يرتبط بعلم التقرير (Science de la décision)، الذي يدرس الأفضلية بين قرارين (أ) و(ب) ، وتكون نتيجة ذلك : إما (أ) . أفضل من (ب) أو العكس .

ولقد صدرت بحوث كثيرة في هذا الميدان في مجلات متخصصة مثل The Reviews economic studies of الأمريكية أو في نشرات المركز الوطني الفرنسي للأبحاث العملية CNRS (باريس).

ثانيا . علم التفضيل في القرآن الكريم.

يعتبر علم التفضيل في القرآن الكريم، بمثابة النموذج الصحيح والقويم من جهة ، كما يبين لنا الطريق الذي يجب أن نسلكه حتى نبني علما جديدا وصحيحا ، ونافعا للأمة من جهة أخرى.

بالإضافة لذلك سيتيح لنا إمكانية التعرف على القضايا التي يرشدنا إليها رب العزة، وتفضيلها أثناء التجارب المخبرية في الحياة العلمية بشيء من الاطمئنان ودرجة الأكيدية.

وهكذا إذا قمنا بقراءة آيات القرآن الكريم، أدركنا عظمة ديننا الحنيف، الذي لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرها ، وبما امتاز به من خصائص عديدة وميزات لا مثيل لها.

ففي بداية الأمر، يضع لنا الخطوط العريضة لوضعية الإنسان، وتفضيله على كثير من المخلوقات حيث يقول سبحانه وتعالى:

«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر و البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» سورة الإسراء / الآية 70.

فهذه الآية ، تعتبر المدخل الرئيسي لكل قراءة أنتروبولوجية كونية.

وحتى تكون المفاهيم محدودة ومرتبة في ذهن السامع الكريم، ارتأينا توضيح « التفضيل» في القرآن الكريم حسب الموضوعات والفضاءات المختلفة.

فالآية السابقة (70/ الإسراء) تمثل النموذج العام ، وبداية مرحلة الإنسان الدنيوية الأولى بعدما هيئه بالأدوات الكبرى : العقل والسمع ثم البصر ، إذ استطاع الإنسان فهم خلافة الحق سبحانه في الأرض ، واستطاع أن يبدع ويشحن نفسه بطاقات من الوعي والعطاء المستمر، فكانت هذه الأدوات وسائل:

أ . لاكتساب العلم: مصداقا لرب العالمين:

« ولاتقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا» سورة الإسراء /الآية:36.لأن اكتساب العلم يعتبر من اللبنات الأساسية لتكويننا الثقافي، وتجميع وتكوين كافة عناصر البناء المجتمعي .

ب . لاستحقاق شرف الخلافة « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» سورة النور/ الآية: 55.

ح . للانتماء إلى المنزلة الرفيعة ، حيث جعل الملائكة تسجد للإنسان «، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا» سورة الإسراء/ الآية:61.

د . لحركة العقل واكتساب مؤثراته على الصعيدين الحركي والروحي:

« أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» سورة الحج/ الآية:46.

هـ . لتقنين عطاء الله وخيراته ، وتوجيه هذه العطاءات لما يحبه الله.

« وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» سورة إبراهيم / الآية:34 و . لإقامة شرع الله « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» سورة هود/ الآية: 23.

هذه بشكل عام ، مراحل تهييئ الإنسان لخلافة الأرض.

يأتي بعد ذلك الجزء التالي ، والمتعلق بالرابطة التي تربط التفضيل بعلم القرآن الكريم ، حيث يوضح لنا رب العزة، المستويات المختلفة التي وقع فيها التفضيل ، ونذكر منها لا على سبيل الحصر:

1 . التصوير: حيث كان جمال الإنسان في أحسن هيئة، وأفضل بكثير من معظم المخلوقات التي أوجدها، مصداقا لقول رب العالمين:

« الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم » سورة غافر/ الآية: 64.

2 . التوبة وهي الفضاء الذي يمثل الرابطة القوية والمرحلة الحرجة (بالمفهوم الرياضي Etat critique) التي يتحول فيها الإنسان من مخلوق ضائع إلى عابد مؤمن.

فالحق سبحانه هنا يفضل الوضع الثاني عن الوضع الأول، مصداقا لقوله تعالى:

« وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم» سورة البقرة/ الآية :54.

3 . الإصلاح : وهو يقارب ما سبق ذكره، على مستوى اليتامى، مصداقا لقوله عز وجل« ويسألونك عن اليتامى، قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم » سورة البقرة/ الآية :220.

4 . المعاملات : حيث يؤكد ديننا الحنيف على مبدأ مساعدة العقل من أجل أداء وظيفته والتمييز بين الخبيث والطيب.

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما والصلح خير»سورة النساء/ الآية :128.

5 . الصبر: وهو من العناصر الهامة الذي يتحلى به المؤمن« فإذا أحصين فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن يخشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم » سورة النساء/ الآية :25.

6 . الجهاد: مصداقا لقوله عز وجل « ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون» سورة آل عمران/ الآية :157.

7 . الصدقة: وبها يفضل المؤمن عن غيره.

« وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » سورة البقرة/ الآية :280.

ذلك ما نعتبره. والله أعلم. من علم التفضيل الشامل والصحيح الذي يمكن استخدامه كأرضية للعمل الرياضي (نسبة للرياضيات) والخصائص الانتروبولوجية الكونية.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

حاجة المجتمع المسلم إلى ثقافة الحوار

■ الصورة المشرقة التي ينشدها المجتمع الإسلامي في العصر الحديث وعصر التحديات الآتية من الغرب تجعل المسلمين يعملون أكثر من أي وقت مضى على تجسيد مقاصد الشريعة الهادفة إلى توفير الضروريات أولا ثم الارتقاء بعد ذلك في سلم الحاجات التكميلية ، ويرتب علماء الإسلام تلك الضروريات في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، خاصة وأن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا على أن سؤالا ينتصب أمامنا: كيف يتحقق حفظ الدين، فيتمتع الانسان المسلم بحرية العقيدة، وحرية التفكير لاثراء هذه العقيدة بالتفكر والتأمل والابداع، وكيف يعيش حرا كريما لا يعتدي على حياته أحد ولا يظلمه أحد، ولا يسجنه أحد، ولا يغتاله أحد ، بل لا يتجسس عليه أحد ، ثم كيف يحفظ ذريته ونسبه وماله وعرضه وعقله في عالم اليوم، وعصر اليوم يتميز بثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، عصر ضاقت فيه المسافات، وتلاشت فيه الحدود ، وتحطمت فيه الحواجز المعرفية أمام الأقمار الصناعية ، وتقنية نقل الصور والأخبار من كل زوايا الدنيا إلى حيث تتوفر أجهزة الاستقبال، عصر تداخلت فيه مصالح الأمم، وصار من المستحيل أن يمارس مجتمع ما عزلة عن المجتمعات الأخرى.

إن المجتمعات الإسلامية لا تزال تعاني من الاضطراب الشديد في لغة الحوار في كل مجال من مجالات الحياة والفكر، والسلوك، يلاحظ ذلك في بيئات التعليم وفي الاعلام، وفي الأسواق وغيرها، وبينما نجح المجتمع الغربي الديمقراطي في وضع تقاليد الحوار في داخله وترتيب حياته الثقافية فشل المجتمع الإسلامي في الوصول إلى اتفاق بغداء الشأن، ذلك أن طبيعة الثقافة السائدة في هذا المجتمع وما تحمله من عناصر سلبية هي السبب الرئيسي في كثير مما يحدث، وهذه العناصر السلبية هي التي غيبت لغة الحوار ، ومفردات الحوار، ووضعت بديلا لها مفردات العنف، وإذن ما هو السبيل للخروج من هذا المأزق؟ إن السبيل لمعالجة هذا الإشكال يحدده القرآن في عناصر متكاملة يأتي على رأسها العدل بين الناس" إن الله يأمر بالعدل والإحسان» «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن تعدلوا» والعدل يكون في القول والفعل ، وكلاهما ترجمة لما في جوهر الأفراد والجماعات من قيم الدين أو القانون أو العرف. والمثل التاريخي لذلك كان في المجتمع الإسلامي في انطلاقته الأولى حيث كان الحوار في داخل المجتمع وفي كل المستويات يمثل ظاهرة صحية، أما في تاريخنا المعاصر فما زلنا نتطلع إلى مثل جديد ، وما زلنا نسعى إلى ذلك المثل ، ومعنا القرآن وهدي الاسلام ، وأمامنا تجارب البشرية نأخذ منها كل أمر مفيد ، وتظل الأداة الإيجابية في رحلتنا نحو استشراف المستقبل وآفاقه هي ثقافة الحوار حيث يسود خطاب الكلمة، والفكر والحجة والبرهان ويتوقف خطاب العنف.

إن ثقافة الحوار هي ثقافة المودة والسلام والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مجتمع في بلاد العرب والمسلمين،نحن في حاجة إلى عقل اجتماعي، وميثاق اخلاقي نضعه من خلال الحوار وبروح انسانية بناءة ونلتزم به جميعا، على أن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نحب للآخرين ما نحب لأنفسنا ، وأن نحفظ ونصون الدين والنفس والعرض والمال ونعمل على إرساء أسس الخير والعدل والحب.

تعقيب على تخطيئ الإمام الطرطوشي

■إعداد الأستاذ: مراد الغزويي

الحلقة الثالثة

مناقشة رد الأستاذ حول قضية قتل داود لجالوت

مما يلاحظ بالنسبة لمسألة قتل داود لجالوت إغفال الأستاذ عبد القادر العافية بيان موقفه من فهم هذه الآية الصريحة " وقتل داود جالوت»

والمثير للانتباه أن الأستاذ عبد القادر العافية اكتفى بأن أشار إلى ذلك بقوله: (أما ما ذكره الأخ الكاتب عن المسألة الأخرى التي خطأ فيها الإمام الطرطوشي والمتعلقة بقتل نبي الله داود عليه السلام لجالوت...)

مما يلاحظ هنا أن الأستاذ عبد القادر العافية لم يبين هنا موقفه بصراحة من رأيي لا بالتأكيد ولا بالنفي وهو إذا لم يؤيدني فكيف يمكنه أن ينفي ما قلته والآية صريحة الدلالة ثابتة القطع وهي قوله تعالى: « وقتل داود جالوت، سورة البقرة/ الآية :250 . ،لقد فوجئت حقا بالأستاذ عبد القادر العافية الذي اختار الابتعاد عن مناقشة هذه القضية ولذلك تجاوزها بقوله « ورحم الله الشيخ بن عطية صاحب التفسير " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " الذي قال في تفسير آية « ولما برزوا لجالوت وجنوده « سورة البقرة/ الآية: 251. لقد اختار الأستاذ عبد القادر العافية تجنب المناقشة من وراء ذكر الشيخ بن عطية عوض المواجهة العلمية المباشرة فيما يتعلق بإبداء رأيه حول قضية قتل داود لجالوت.

وعوض أن يتدارك الأستاذ هذا الإغفال المقصود من جانبه لموقفه من هذه المسألة أضاف قائلا : (.. وهي موضوع الخطأ الذي وقع فيه الطرطوشي حسب ما ذكره صاحب المقال..)

أقول ردا على ذلك : أنا لم أقل بخطأ الطرطوشي من تلقاء نفسي وإنما استندت على تخطيئه لنفيه لقتل داود لجالوت باعتبار أن ذلك النفي الصادر عنه يعارض صريح القرآن وهو قوله تعالى « وقتل داود جالوت» أما مابقي من فقرة الأستاذ عبد القادر العافية وهي قوله: وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وذلك كله لين الأسانيد ، فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية:(ج:2،268) يلاحظ هنا غموض وإبهام ..الصراحة أنني لم أفهم ماذا يريد أن يقول لي الأستاذ المحترم من خلال هذا الكلام ما دام قد اختار أن يقف موقفا غامضا من هذه المسألة... موقفا لا يثبت ما قلته، ولا ينفيه كذلك ، ويبدو أنه كان إلى الإنكار أقرب منه إلى الإثبات ، غير أن كلا الأمرين يحتاجان إلى الحجة والدليل... والحجة هنا منعدمة، والدليل عسير، لكونهما لا يخلوان من أحد الأمرين. ذلك أن الأستاذ الكريم مطالب في هذه الحالة بطبيعة الحال إما أن يثبت ما قلته وهو ما سيؤدي حتما إلى تأييد رأيي الموافق لحقائق القرآن الثابتة ، وإما أن ينكر رأيي بالمرة وهو ما يتعذر عليه كذلك الإتيان به لكونه في هذه الحالة سوف يجد نفسه متعارضا مع صريح القرآن وهذا غير ممكن ولا مستساغ ، وأذكر بهذه المناسبة أنه سبق لي أن قلت ولا زلت أكرر أن الخطأ الذي وقع فيه الطرطوشي والمتعلق بنفيه لمسألة قتل داود لجالوت نتج عن اعتماده الكلي على الإنجيل كمصدر بالنسبة لهذه الواقعة حسب ما صرح به هو نفسه مع العلم أن الإنجيل قد أصابه التحريف المتعمد مثل بقية الكتب السماوية الأخرى بخلاف القرآن المحفوظ من كل تحريف « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون « .

رأي بن كثير حول قضية قتل داود لجالوت:

ورد في تفسير بن كثير لقوله تعالى: ولما برزوا لجالوت وجنوده....» ما يلي:

أي لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت لعددوهم أصحاب جالوت وهم عدد كثير (قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا) أي أنزل علينا صبرا من عندك (وتبث أقدامنا) أي في لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز (وانصرنا على القوم الكافرين).

قال تعالى (فهزموهم بإذن الله) أي غلبوهم وقهروهم بنصر الله (وقتل داود جالوت) ذكروا في الإسرائليات أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفي له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة...).

المصدر : تفسير القران العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774هـ الجزء الأول الصفة 303 دار المعرفة بيروت لبنان 1405 هـ 1984م.

وللحسم بصفة نهائية في هذه المسألة الخلافية أقول بأن القرآن يؤكد قتل داود لجلوت في حين أن الإنجيل ينفي قتل داود لجالوت فهل نصدق القرآن ياترى أم نصدق ما ورد في الإنجيل ؟

طبعا نصدق ما جاء في القرآن لكونه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) كما قال تعالى.

وبهذه المناسبة أذكر واقعة حدثت على عهد رسول الله (صلعم) عندما شاهد عمر يقرأ في صحيفة فسأله عنها فقال هي صحيفة من التوراة فتغير وجه رسول الله (صلعم) وقال له في جملة ما قال له: (لقد أتيكم بها بيضاء نقية، والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بن عمران حيا بين أظهركم ما وسعه إلا إتباعي (أو كما قال عليه السلام

خاتمة

على كل حال أشكر فضيلة الأستاذ عبد القادر العافية على ما أتاحه لي من فرصة ثمينة من خلال رده الذي كان سببا لي في إثراء هذا الموضوع ودعمه بما يستحقه من التوضيح والبيان عملا بقوله تعالى: « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبينونه للناس ولا تكتمونه.. صدق الله العظيم.

الوجود الإسلامي في أوروبا: جذور تاريخية واقع ملموس- مستقبل مشرق

■إعداد الأستاذ: صلاح الدين الجعفراوي

الحلقة الثانية

بناء المسجد الأحمر:

بني هذا المسجد في حديقة قصر الأمير كارل بيودور في مدينة شفينزون جن، وذلك في أعقاب الحرب الفرنسية الألمانية 1871/1870م حيث بناه الأسيران سوافن وتوركوس، فقد كانت هذه الحديقة معدة لتكون حديقة على الطراز التركي، ولكن بمرور الوقت ومجيئ المسلمين أصبح هذا المبنى كمسجد وليس فقط لتزيين الحديقة، وظل الأمر على ذلك فترة حتى منع مؤخرا استخدام هذا المبنى من قبل المسلمين ليقع تحت طائلة قانون حماية الآثار.

مسجد فونسدورف:

في زيارة للقيصر فيلهلوا الثاني إلى دمشق بصحبة الخليفة العثماني، ألقى القيصر كلمة أمام ضريح البطل صلاح الدين الأيوبي وعد فيها أن يكون صديقا للخليفة ولثلاثمائة مليون مسلم يعيشون على الأرض كان ذلك في 1898/11/18م، وبعد ذلك في العام 1914م أقيم في منطقة فونسدورف على مقربة من برلين معسكرا للأسرى المسلمين الذين أسروا في الحرب العالمية الأولى، وكانوا من التتار والقوقاز، والمسلمون السوفييت والهنود والمغاربة والجزائريين والأفارقة الذين كانوا في جيوش المستعمرات الانجليزية والفرنسية، لذا فقد بنى القيصر مسجدا ترتفع مئذنته ثلاثة وعشرين مترا في السماء، وتم افتتاح المسجد في شهر يونيو من العام 1915م بحضور السفير التركي آنذاك إبراهيم حقي باشا، ومسؤولي الهيئات الألمانية المختلفة، وكانت تصدر من مخيم الأسرى خمسة صحف إسلامية هي قوقازن، هنيدرستان قوارتولو جازيتي، جريدة الهلال، الجهاد. وكان المخيم يتسع لأربعة آلاف أسير، وقد توافد عليه على مدار الحرب خمسة الف أسير من المسلمين، وقد أعدت للمسلمين الذين ماتوا في الأسر مقبرة في منطقة تسيرن دورف، وظل المسجد مقصدا لكافة المسلمين الذين يقيمون في مناطق ألمانيا المختلفة، ثم استخدم في فترة لاحقة كمكان لبعض الهيئات الألمانية، ثم أعيد افتتاحه في النهاية للمصلين، وقد أغلق المسجد بسبب ضعف البناء في العام 1924م، ثم تمت إزالته في العام 1926:/1925

11. اسبانيا: الأندلس التي حكمت بالإسلام قرابة في ثمانية قرون، ولاتزال آثار المسلمين تشهد بها كل بقعة في الأندلس.. من غرناطة الحمراء إلى قرطبة منبع العلم والنور إلى أوروبا التي كانت يطبق عليها ظلام الجهل والتخلف... وتاريخ المسلمين في الأندلس شاهد حي على ما وصل إليه الإسلام من رقي وذوق وحضارة لم تشهدها أوروبا من قبل، حيث كان حكام بعض الممالك الأوروبية يرسلون أبنائهم إلى قرطبة لينهلوا من العلم ليضيئوا بلادهم المظلمة من جوانبها الأربع، كما كانوا يذكرون في رسائلهم.. والحديث عن الإسلام في الأندلس حديث له شجون...

واقع ملموس:

بعد هذا الشرح الذي أكد أن للإسلام جذورا وتاريخا لايستطيع أحد أن يتجاهلهم أو يتغافل عنهم... نريد أن نلقي الضوء على وضع الإسلام الآن في شرق القارة وغربها...

. تتميز الجاليات الإسلامية في شرق أوروبا أن أكثر من نسبة 90 في المائة هم من المواطنين الأصليين لهذه البلاد.

. أما الجاليات الإسلامية في غرب القارة الأوروبية فتتميز بأن أكثر من نسبة 90 في المائة هم من الوافدين والجاليات المهاجرة.

وقبل أن نتطرق إلى حال المسلمين اليوم لابد من المرور السريع على الظروف التي مرت بهم بعد الحرب العالمية الأولى، ومن ثم الثانية حيث ساءت ظروف الشعوب المسلمة في شرق القارة نذكر "لتسلط الحكم الشيوعي الملحد على مقدرات هذه الشعوب حيث أذاقها من الجوع والخوف والتمثيل والتنكيل مالم يسمع به أحد من قبل.. وقبل أن أمر على بعض هذه الأحاديث أريد أن أنقل قولين:

1. الأول ماذكرته مجلة الشرق المسيحي الألمانية عن مؤتمر أدنبرج عام 1910 الميلادي حيث قالت: "إن أعمالنا قد ازدادت أهمية بين مسلمي البلقار بنعمة الله تعالى الساطعة.. وذلك بنشاط وإقدام القسيس «افتارنيان" الذي كان اسمه من قبل "أمير زادة محمد شكري".. وازدياد أهمية التبشير كان بوجه خاص عقب تأسيس المدرسة الدينية الإسلامية، وما يأتيه هذا القسيس من الأعمال بمساعدة الشيخ أحمد كاشف، والمدرس نسيم أفندي بقصد مقاومة الإسلام... يبرهن لنا على أنه قد آزف الوقت الذي يزعزع فيه الإسلام من أركانه، وينتشر الإنجيل بين الشعوب الإسلامية".

2. الوثيقة المحفوظة بدار الوثائق القومية في باريس عن الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذي شارك في الحرب الصليبية وأسر في دار ابن لقمان بعد معركة المنصورة في مصر حيث ذكر:

"لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب.. إنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع مايلي:

أ. إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين...وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ماأمكن، حتى يكون الخلاف عاملا في إضعاف المسلمين.

ب. عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم فيها حكم صالح.

ج. إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

د. الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه يضحي في سبيل مبادئه.

هـ. العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المناطق بإقامة دولة غربية في المنطقة العربية..

. وهنا أعرض صورا سريعة على سبيل المثال لا الحصر، حيث تكون إشارات لايتسع مجال البحث لتغطيتها...

الإيمان بأسماء الله الحسنى

■ إعداد الأستاذ : الطيب أكحل العيون

■ لقد غرس صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه حب أسماء الله وصفاته والإيمان به إيمانا مطلقا من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وعلى جميع المسلمين أن يؤمنوا بها هكذا كما وردت في الكتاب العزيز ، وكما ذكرها صلى الله عليه وسلم ، من غير كيف، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أو صاف الله عز وجل ، فيجب وصفه بها على الوجه اللائق به، من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» سورة الشورى، وقال عز وجل : « فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون» سورة النحل ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي تمسكوا بها من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وهي عقيدة كل من التزم طريق الإسلام الصحيح،من غير تحريف ولاالتواء.

وحسبي أن ألقى الضوء حول بعض هذه الأسماء والصفات، لأبرز قبسا من جلالها وبهائها، وما فيها من تجليات الرب الكريم على عباده،

يقول الإمام ابن القيم الجوزية: يجب أن لاتنفي معاني الأسماء ، ليكون في ذلك دلالة على توحيد الأسماء والصفات.

أما دلالة الأسماء الخمسة عليها وهي: (الله والرب والرحمن والرحيم ، والملك) فمبني على أصلين:

أحدهما: أن أسماء الرب تبارك وتعالى، دالة على صفات كما له، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى، إذا لو كانت ألفاظ لا معاني فيها ، لم تكن حسنى ، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب ، في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس ، فيقال : اللهم إني ظلمت نفسي ، فاغفرلي، إنك أنت المنتقم ، واللهم أعطني، فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك.

هذا ونفي معاني أسماء الله الحسنى ،من أعظم الإلحاد فيها ، قال تعالى : وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون» سورة الأعراف. ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف، لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها ، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله كقوله تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» سورة الذاريات ، فعلم أن القوي ، من أسمائه ، معناه الموصوف بالقوة ... وكذلك قوله .. «فلله العزة جميعا » سورة فاطر . فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له، لم يسم قويا ولا عزيزا ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفظ القسط ويرفعه، يرفع الله عمل الليل في النهار وعمل النهار في الليل، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه، فأثبت المصدر الذي اشتق منه اسمه البصير، وعلى ذلك كل أسمائه تعالى، وأيضا لو لم تكن أسماؤه مسلمة على معان وصفات ، لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال : يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة ، استحال ثبوت حكمها، إلى غير ذلك من الأدلة التي ذكرها الإمام ابن القيم الجوزية والتي تقطع بأن نفي معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها ، وهذا هو الأصل الأول..

أما الأصل الثاني : فإن الإسم من أسمائه تبارك وتعالى ، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم ، فدل على الصفة بمفردها بالتضمن وكذلك على الذات المجردة من الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم فإن اسم (السميع) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم (الحي) وصفة الحياة بالإلزام، وكذا سائر أسمائه وصفاته إذ تقررها ذات الأصلان ، فاسم الله) دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث ، فإنه دال على إلاهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلاهية له مع نفي أضدادها عنه.

ثم إن صفات الإلاهية : هي صفات الكمال ، المتنزه عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضرب الله تعالى سائر الأسماء الاحسنى إلى هذا الاسم العظيم ، كقوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» سورة الأعراف ، ويقال: الرحمن الرحيم ، والقدوس والسلام ، والعزيز والحكيم من أسماء الله ، ولا يقال : (الله) من أسماء (الرحيم) ولا من اسماء (العزيز) ونحو ذلك ، فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمالوالأسماء الحسنى تفصيل وتبيين للصفات الإلاهية، التي اشتق منها اسم (الله) واسم (الله) دال على كونه ألوها معبودا تؤلهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد ، والإلاهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه ، مستلزم لجميع صفات كماله ، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ، ولا سميع ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فعال لما يريد ، ولا حكيم في أفعاله ، هذا وقد فهم أهل السنة والجماعة هذه الصفات ، فهما دقيقا ، وعرفوا قدرتها ، فالتزموا الأدب مع الله في تعظيم أسمائه وصفاته وتنزيهه سبحانه عن المشابهة وتمسكوا بالحق السابق تقريره في مذهبهم ، صيانة لعقيدتهم عن الزلل والانحراف،

قال الوليد بن مسلم رحمه الله . سئل مالك رضي الله عنه والأوزاعي والليث بن سعد، وسفيان الثوري رحمهم الله جميعا عن الأخبار الواردة من الصفات، فقالوا جميعا: أمروها كما جاءت بلا كيف». وسئل ربيعة بن عبد الرحمان شيخ مالك عن الاستواء على العرش قال: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق) ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن ذلك قال: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) ثم قال سائل: ما أراك إلا رجل سوء وأمر به فأخرج، إلى غير ذلك من أقوال الأئمة من علماء السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين، وإذا كان هؤلاء قد تورعوا والزموا أنفسهم السكوت، مع الإيمان المطلق بكل أسماء الله وصفاته، إيمانا جازما من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ، لأنه ليس هناك حاجة في أن نخوض في تأويلها وتحريفها ، ونوقع أنفسنا في خلافات ، قد تؤدي إلى تفريق صفوف المسلمين ، بل قد يخرج المسلم أحيانا من عقيدته فيضل الطريق، وما أحوجنا إلى هذا في وقت نجد فيه أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر ، لنشر الفتن، وتمزيق الوحدة الإسلامية ، والمسلم يحب أن يكون كيسا فطنا، بمعنى : أن يكون إيمانه عميقا ، وتصوره دقيقا ، ورباطه بإخوانه وثيقا، فإذا رأى المسلم نفسه على هذا المنهج القويم ، تعمق الإيمان في قلبه، ورسخت العقيدة في نفسه عندئذ يكون الرجل المسلم قدير على الأرض ، لا يخشى في الله لومة لائم، إذا سأل يسأل الله وإذا استعان لا يستعين إلا بالله ، فهو ملجؤه وملاذه ، وإليه المرجع والمآب.

مفهوم الإيمان وحقيقته في القرآن والسنة

■ إعداد الأستاذ : عمر الرماش

المفهوم الخاطئ للإيمان عند الناس ناتج عن بعدهم عن الدين وتفشي الجهل في صفوفهم:

ماهو الإيمان؟ وما مفهومه؟ وحقيقته؟... هذه التساؤلات وغيرها يلزمنا طرحها في البداية من أجل الإحاطة بموضوع الإيمان ومعرفته من كل الجوانب خصوصا وأن قضية الإيمان قد التبس فهمها وإدراكها واستيعابها من طرف عامة الناس وكذلك من لدن الخاصة والمثقفين وغيرهم ، فالكثير من المسلمين في الوقت الحاضر مع الأسف الشديد إلا من رحم الله يجهلون مفهوم الإيمان وحقيقته وشروطه ومقتضياته وغير ذلك مما له علاقة من قريب أو بعيد بقضية الإيمان ، وهذا يكشف بوضوح عن مدى الجهل الذي يتخبط فيه غالبية المسلمين اليوم وبعدهم عن تعاليم الدين وهدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكذلك جهلهم بالأحكام الشرعية وبأمور الدين والعقيدة والشريعة والفقه الأساسية والحيوية. وفي المقابل نجدهم يعرفون كل صغيرة وكبيرة في أمور الدنيا.

ما مفهوم الإيمان وحقيقته في الكتاب والسنة؟

تعريفا لمفهوم الإيمان وحقيقته، وتسليطا للضوء على هذا الموضوع المهم نورد في الفقرات التالية من هذا المقال المتواضع بعض الآيات والنصوص القرآنية والحديثية الواردة في الكتاب والسنة والتي تؤصل لقضية الإيمان تأصيلا شرعيا صحيحا بعيدا عن كل التباس أو غموض أو خلط، فالإيمان هو الاعتقاد الجازم الناشئ عن دليل وحجة وبرهان. والإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، كما جاء في الحديث النبوي الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتجلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوما عزتهم الأماني وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) الحديث رواه الإمامان البخاري ومسلم في الصحيحين. وهذا الحديث النبوي الشريف لوحده كاف لمعرفة وإدراك مفهوم الإيمان وحقيقته ومقتضياته.

اقتران الإيمان بالعمل الصالح في العديد من آيات القرآن.

إن الكثير من المسلمين اليوم، إلا من أخذ الله بيده، يرون على أن الإيمان موجود في قلب الإنسان ولا يظهر في واقعه وحياته وأعماله وتصرفاته وسلوكياته .. وهذا مفهوم خاطئ وشائع لدى عامة المسلمين بل وحتى عند بعض المتعلمين والمثقفين مع الأسف الشديد.

فالإيمان لا يكون إيمانا حقيقيا إلا إذا كان مقرونا بعمل صالح ، ولم يذكر الإيمان في القرآن الكريم إلا واقترن بالعمل ولم يذكر العمل الصالح إلا وذكر معه الإيمان . والقرآن الكريم حافل بالآيات والنصوص الكريمة التي تشير إلى ذلك . ويمكن أن نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر. قال الله تعالى» إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا» سورة الكهف / الآية: 30. وقال أيضا» والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» سورة العصر / الآية :1 . 4 . وقال كذلك» ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا» سورة النساء/ 124. وهكذا نرى بوضوح في هذه الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الإيمان الحديث عن العمل الصالح، فالإيمان الحقيقي بالنسبة للإنسان المسلم كما هو مبني في الكتاب والسنة هو الإيمان المقرون بالعمل والمرتبطة بالعمل الصالح، وهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة والعبادة والتقوى والعمل الصالح وينقص بالمعصية والخطيئة واتباع الهوى ومطاوعة الشيطان .. فالإيمان هي الصفة أو الخطة التي تميز الإنسان المسلمَ عن باقي خلق الله سواء كانوا كفارا أو مشركين أو ملاحدة أو منافقين أو غيرهم من أعداء الدين والعقيدة . والإيمان مقتضيات وشروط وضوابط عديدة لابد من التقليد والالتزام بها لكي يكون الإنسان المسلم إنسانا مؤمنا حقا لا تلتبس عليه المفاهيم والسبل. وسنحاول أن نتطرق لها في فرصة أخرى بحول الله انطلاقا من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

مصحف ابن مرزوق موجود بتطوان في خزانة كلية أصول الدين

■ نشرت مجلة الشمال عدد 205 . بتاريخ 27 ذي القعدة 1424 هـ موافق 20 يناير 2004مقالا لكاتبه محمد طارق حيون بعنوان :" أحد الوزراء يسرق مصحفا تاريخيا من الجامع الكبير" واختارت المجلة الموضوع لعنوان بارز نشرته على صفحتها الأولى بنفس العنوان مع صورة المصحف ، توحي الصورة المصحف الذي زعم المقال سرقته.

وقد قال كاتب المقال في مقدمة ما كتب :" ولا زالت حلقات مسلسل اغتصاب المعالم والمآثر، والفضاءات الخضراء والساحات ورموز المباني القديمة، ومقابر المجاهدين والشهداء، وحصون الثقافة والفنون الشعبية، والتراث المحلي لتطوان متواصلة ، حيث تتحدث الأوساط التطوانية هذه الأيام عن اختفاء المصحف القرآني المعروف ب :" مصحف ابن مرزوق " من مكتبة الجامع الكبير الذي يرجع تاريخه إلى منتصف القرن السادس الهجري ، وحسب بعض المصادر الموثوقة والعلمية. فإن هذا المصحف التاريخي الكريم أعد بمدينة بلنسيا الإسبانية ، وفي الأندلس سنة 781 هجرية .." يذكر المقال أن هذا المصحف يقع في 303 صفحة . ويطالب المقال بـ " فتح تحقيق في مشكل اختفاء مصحف ابن مرزوق وغيره " قال:" وما الأسئلة التي يتداولها الرأي العام التطواني حاليا: من وراء اختفاء المصحف التاريخي و(إجرام)، كذا تراث ومعالم تطوان ؟ وكيف يستمر السكوت الرسمي عن ظروف الاعتداءات المنكرة التي تطال ممتلكات أجيال تطوان " ولقد أرفق صاحب المقال به صورة لمصحف على أنه هو المصحف الذي تمت سرقته على زعمه.

ونظرا لأن المصحف من التراث العربي الإسلامي المغربي، ونظرا لكون المقال المذكور يتحدث عن سرقته المصحف من قبل أحد الوزراء، وحيث إن هذا المصحف موجود بمدينة تطوان وفي كلية أصول الدين تحديدا فإني أقدم هذا الإيضاح للقراء ولكل مهتم بالموضوع فأقول:

إن مصحف ابن مرزوق يوجد في مكتبة كلية أصول الدين بتطوان التي يشرف عليها الآن القيم على مكتبتها السيد عبد الحميد بورمضان ، وعقب نشر المقال المذكور طلبت منه الاطلاع على المصحف المذكور ، فأطلعني عليه كما اطلع عليه في نفس الوقت عدد من أساتذة الكلية وهو مكتوب بحروف دقيقة تختلف عن حروف المصحف الذي نشرت الجريدة صورته.

وعلى صفحات منه طابع المعهد الديني العالي ومكتبة المعهد الديني العالي بتطوان، وهو مصحف كامل من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس،مشكول الكلمات ، بفواصل وعناوين مذهبة وتوجد فواتيح مذهبة بهوامشه تشير إلى بداية كل حزب ومواضع السجود، واشتمل أخره عن معلومة عن كاتبه تقول: « تم جميع المصحف بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده وعلى آله وسلم وكتبه محمد بن موسى بن حزب الله بمدينة بلنسيا سنة تسع وخمسين وخمسمائة وهذه السنة توافق عام 1163 للميلاد ، ويقع المصحف في 165 صفحة ، وهو المصحف الذي ذكر المقري أن العلامة ابن مرزوق الجد المتوفى عام 781 هـ. 1379م قرأ به تجاه الكعبة المشرفة اثنتي عشرة ألف ختمة ، قال المقري:" ومع ذلك فقد نسي في المصحف المذكور لفظة (إليك) من قوله تعالى:" ينقلب إليك البصر " حتى كتبه بخط فوق السطر حفيده العلامة أبو عبد الله محمد بن مرزوق " . فتح الطيب 3: 213 . ويعتبر بحق « جوهرة هذه المكتبة».

وكان هذا المصحف يوجد بخزانة الجامع الكبير، وتم نقله إلى مكتبة الجامع الكبير، وانتقل منها إلى مكتبة المعهد الديني العالي بتطوان التي كانت توجد بالملاح البالي، واستقر آخر الأمر بمكتبة كلية أصول الدين بتطوان ، التي تضم مكتبة المعهد المذكور، بموجب قرار مجلس جامعة القرويين المنعقد بمدينة أكادير بتاريخ السنة الجامعية 1995 .1996م بناء على رسالة عميد هذه الجامعية بتاريخ 11 يونيه 1996م بشأن نقل مكتبة المعهد الديني العالي إلى المقر الحالي للكلية ، وقد تم تنفيذ هذا القرار يوم الاثنين 28 جمادى الثانية 1417 هـ موافق 11 نوفمبر 1996 م وأفرد لهذه المكتبة نجاح خاص بمخطوطاتها ومؤلفاتها، تضم مجموعة مختلفة من حديث وفقه وتفسير وأدب وتاريخ وهي مرقمة ترقيما مبسطا يبدأ من رقم 1 إلى رقم 3653 وذلك حسب المحضر المؤرخ بـ 28 جمادى الثانية 1417هـ. 11 نوفمبر 1996م فهذا المخطوط موجود بتطوان في جناح خاص بكلية أصول الدين، ولله الحمد والمنة والسلام.

دورة تدريبية للمقبلين على الزواج شعارها : نحو بناء أسرة مسلمة سعيدة متماسكة

■ ينظم المجلس العلمي لجهة الرباط سلا زمور زعير دورة تدريبية للمقبلين على الزواج تتناول عدة جوانب من مؤسسة الأسرة كما أراد لها الشرع الحكيم، اعتمادا على زوجين صالحين مؤهلين لأن يكونا أبوين لأطفال أسوياء ضمن مجتمع متماسك، وهكذا ستناقش الدورة:

1 . مسألة الاختيار والصلاح بالنسبة للمرأة والرجل لتحقيق قوله تعالى : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة،
2 . تحسين أساليب الوقاية من الطلاق.
3 . تثقيف المقبلين على الزواج وتعليمهم ضروريات المعاشرة الزوجية ومتطلباتها.
4 . تحصينهم بالآداب الإسلامية في كيفية التصرف داخل بيت الزوجية لاشباع الحاجات الروحية والجسمية والنفسية.
5 . تعليمهم آداب الحوا ر بين الزوجين اعتمادا على سيرة الرسول الأكرم.
6 . توضيح أدوار كل من الرجل والمرأة في تصريف الحياة الأسرية.
7 . تربية الأبناء وتنشئتهم . ودور كل واحد من الأبوين في ذلك.
8 . دور الزوجين في محيطيهما وكيفية بناء العلائق مع باقي الأسرة.
9 . معاملة الأهل والأقارب والأصدقاء.
10 . الحدود الواجب مراعاتها واحترامها سواء من طرف الزوج أو الزوجة والأبناء ولتحصينهم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وسيشارك في الدورة مختصون من الجنسين وخبراء على شكل ورش للنقاش ومحاضرات عامة يتبعها نقاش خاص مع المشاركين والمشاركات قصد الإفادة.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1062
السنة37
الجمعة 11 صفر 1425 هـ
الموافق 2 أبريل 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1062 الجمعة 11 صفر 1425 هـ . الموافق 2 أبريل 2004م

التضامن في الإسلام: أسسه وأشكاله وبعض مظاهره في تاريخ المغرب

الحلقة الأولى

■ إعداد الأستاذ: محمد كنون الحسني

■ التضامن مبدأ فطري بين الكائنات البشرية والحيوانية، تقتضيه طبيعة الحياة وصعوبة المحافظة عليها، فلتحقيق الغايات وإنجاز الأعمال وتحقيق الأمن والاطمئنان لابد من التضامن بين الأفراد والجماعات والتكاتف والتعاون الصادق، تلك سنة الله في خلقه تشمل الإنسان والكثير من أنواع الحيوان، ففي المراحل الضارية بجذورها في أعماق التاريخ نجد الإنسان قد عاش على شكل جماعات يدافع الأفراد فيها عن بعضهم البعض ويبدون نوعا من التآزر والتعاون من أجل التغلب على مقاسي الطبيعة وعوادي الزمن، كما عاشت الكثير من أصناف الحيوانات على شكل جماعات ووفق تنظيم يمكنها من العيش والدفاع عن صغارها وضعافها.

وفي التاريخ الانساني مظاهر كثيرة توحي بهذا التضامن فبالإضافة إلى الحياة على شكل جماعات، بنى الإنسان الحصون والأبراج ودافع الرجال عن النساء والشباب عن الشيوخ، وأطعم المكتفي الجائع، وأمن المطمئن الخائف، وآوى المستقر التائه.

وفي التاريخ العربي حضور لأشكال كثيرة من صور التضامن في بلادهم الشحيحة بخيراتها وفي مواسم الجفاف والقحط التي كانت تحل بأرضهم بين الحين والآخر، كثيرا ما كان ينبري محسن كريم يطعم القوم ويغيث المحتاجين منهم، وتحت ظلام الليل ووسط رمال الصحراء يجد العربي التائه من يؤويه ويؤمن من روعه، وفي شدة البرد وكلب الزمن يجلس أهل الثروة والأجواد من العرب للمقامرة بالقداح، فإذا كسب أحدهم جعل نصيبه لذوي الحاجة وأهل المسكنة.

إلا أن هذه المظاهر والصور من التضامن وإن حضرت في هذه المجتمعات فما هي إلا فلتات وغمزات اقتضتها ضرورة الحياة وفرضتها قساوة الطبيعة وشغف الإنسان، وإلا فكيف يمكننا أن نتحدث عن تضامن وتآزر شامل في مجتمع يتسم بالتفاضل والتراتب، يحكمه القوي ويسود فيه الغني ويستعبد فيه الضعفاء وذووا الحاجة.

إن جل الصور المتحدث عنها، وأغلب أشكال التضامن والتآزر المشار إليها كانت لغاية أو من تحقيق هدف، فالدفاع عن القوم حماية للنفس، وإجارة الضعيف متبوعة بالمن مشروطة بشروط، وإطعام الجائع، وإغاثة المحتاج كانت للتباهي وطلبا للمدح والثناء أو خوفا من اللوم والهجاء.

أما التضامن في الإسلام فهو ركيزة أساسية لبناء مجتمع مثالي يسوده التناصر والتآزر والتواد والتآلف، وشرط ضروري من شروط كمال الإيمان يقول سبحانه: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) ويقول أيضا: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ويقول أيضا: (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) فالتضامن في الإسلام لايقوم إلا على إيمان راسخ وإقبال متزايد على الخير والطاعة، ولايتمثل في صور محدودة ونماذج معروفة، بل يتسع ويتشعب ليشمل أمورا كثيرة ومظاهر متعددة منها: إغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، وتوجيه التائه، ونصيحة الجاهل، وأداء الأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وفي السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع، نقف على أحاديث كثيرة تتناول هذا التضامن وتحدد أسسه وأشكاله، ومواقف وأفعال ووقائع توضح معالمه وصوره، وأول مايمكن أن نقف عليه من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم (إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لافضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمد إلا بالتقوى).

هذه صورة المجتمع الذي نتحدث عن التضامن فيه، وهذه أرضية ننطلق منها للحديث عن التآزر والتآخي، فقد انتهت فترة التفاضل والتراتب وأصبح الناس جميعا أمام الله سواء بعد أن كانوا سادة وعبيدا، وسودا وبيضا، وشيعا وأحزابا، فالسعادة بالتقوى والعمل لا بالحسب والنسب، والشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب والكريم عند الله من يخافه ويتقيه، وقد كرس الإسلام هذا التساوي والأخوة والوحدة في العبادات والمعاملات، فالإله واحد، والرسول واحد، والدين واحد، (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)، والكتاب واحد هو القرآن الكريم، والالتزام بالجماعة واجب في الصلاة على شكل صفوف متساوية يقف فيها الغني والفقير، والقوي والضعيف، ويوم الجمعة وفي كل عيد يدعو الإسلام إلى اجتماع يؤمه إمام واحد ويتجه فيه المسلمون إلى قبلة واحدة ويصلون ويشكرون ربا واحدا. والزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء لكي يشعروا جميعا أنهم جسد واحد: "إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".

والصيام يوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، ويفرغ عليهم جميعا صفة الإنابة والرجوع إلى الله، والحج يضم أشتات المسلمين في المشرق والمغرب في مكان معلوم وزمان معلوم (ليشهدوا منافع ويذكروا اسم الله في أيام معلومات).

ومن الأحاديث النبوية التي يمكن استحضارها في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم :(لايومن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) الركيزة الثانية التي ينبني عليها التضامن في الإسلام: التآخي وحب الخير، فمن مظاهره الإيمان الكامل وصوره الواضحة إحساس المومن بأخيه، وشعوره بما يشعر وتألمه مما يتألم، فهو يحب مايحب ويكره مايكره، يساعده إذا ضعف، ويوجهه إذا ضل الطريق، ويطعمه إذا جاع، ويجيبه إذا سأل، ويأويه إذا تاه، فالتضامن في الإسلام مبني على التآخي والحب والوئام لا على التظاهر بالخير والرياء من أجل جلب منفعة أو خوفا من لوم وعتاب كما كان عليه الحال عند الأمم السابقة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه) فإذا كان حب المسلم لأخيه المسلم من شروط الإيمان الكامل فقد وجب عليه الابتعاد عن أذاه وعن كل ما يكره، وعدم الغدر به وحفظه في نفسه وماله وأهله في حضوره وأثناء غيابه. كل هذا يبين لنا أن تضامن المسلمين فيما بينهم ليس من باب التطوع أو النافلة بل فريضة من الله ليس لنا خيار أو نفعل أولا نفعل، فبمقدار مايتضامن الأفراد والجماعات ويتحابون في الله بمقدار مايقتربون من رحمة الله ويكتمل إيمانهم وإسلامهم.

وهكذا وفي رحاب السنة المطهرة نستقي أحاديث أخرى تبين أسس هذا التضامن وأشكاله، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار: (ثلاث لايغل عليهن قلب امرىء مسلم، إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم) فمن مظاهر التضامن في الإسلام الإخلاص في العمل، فالمسلم لايؤدي عمله إلا كاملا ولاينجزه إلا تاما مبرأ من العيوب سالما من كل أنواع الغش، فهو لا يحب أن يسلم أخاه المسلم شيئا غير كامل ولا عملا مبنيا على الغش، ومن مظاهر التضامن أيضا لزوم الجماعة وطاعة الإمام، والعمل وفق ماتقتضيه المصلحة العامة، ووفق مايرضي الله والجماعة، كما يقوم بالنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلم لايرضى لأخيه الهوان ولا يترك المسلم يسير في طريق غير طريق الحق والنور، كما يقف المسلم بجانب أخيه في السراء والضراء، فيدفع عنه كل أذى ويكشف عنه كل ضرر مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مومن كربة الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه). ففي هذا الحديث نقف على ثلاث صور من صور التآزر والتراحم في الإسلام هي:

1. كشف الهموم وتفريج الكرب وحل المشاكل التي تحل بالمسلمين سواء كانت مالية أو بدنية أو نفسية، فمن نفس أي أزال وكشف وفرج عن مؤمن كربة أو ضائقة وشدة بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه له بظهر الغيب كان جزاؤه عند الله من جنس عمله فسيفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة.

2. مساعدة من عليه دين وتعسر عليه أداؤه وذلك بتأخير موعد الدفع ونظرة إلى ميسرة، أو إبراء منه أو هبة تساعد على دفعه أو صدقه، أو التدخل كواسطة بين المعسر وصاحب الدين.

3. ستر عورة المسلم باللباس أو بما يشتري به هذا اللباس، أو بستر عيوبه والتغاضي عن نقائصه والذب عن كل مايكره أن يعلمه الناس عنه.

ونختم هذه الأحاديث الدالة على معاني الإخاء والتراحم والتضامن، بحديث جامع لهذه الصور مختصر لهذه المعاني والدلالات هو قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). وفي هذا الحديث اختصار لصور التضامن في الإسلام وإجمال لأسسه ومعانيه إذ يغيب الفرد داخل الجماعة ويرتبط وجوده بوجود الآخرين وسعادته وشقاؤه بسعادة وشقاء المسلمين.

فمن خلال هذه النصوص وتلك الإشارات نستطيع أن نتبين أهم الأسس والقواعد التي انبنى عليها التضامن في الإسلام ونلخصها في:

1. المساواة بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والأسود والأبيض، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى.

2. توحيد الصفوف وتوحيد الغايات والمنطلقات في العبادات والمعاملات.

3. حب الخير والسلام والنجاح للجميع، والسعي من أجله للنفس وللغير.

4. الابتعاد عن كل مايلحق الأذى بالآخرين، بنفسهم أو مالهم أو أهلهم وذويهم.

5. لزوم الجماعة.

6. النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7. كشف الهموم وتفريج الكرب وحل المشاكل التي تحل بالمسلمين.

8. مساعدة من عليه دين وتعسر عليه أداؤه.

9. ستر عورة المسلم وستر عيوبه.

10. إطعام الجائع ومساعدة المحتاج، وإجابة السائل ومساعدة الضعيف ومد ذوي الحاجة بالمال.

(يتبع)